هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:1)

العدد 174

جمادى الأولى / جمادى الآخرة 1446هـ تشرين ثاني / كانون أول 2024م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـــرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـــرير

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. لؤي عزمي غزاوي

أ. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

وهل بعد ذلك الشر من خير؟	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

جريمة إسناد البحوث والدراسات العلمية لغير معدها	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	19

مسائل وقضايا فقهية

العبادة الشعورية	أ.د. جمال أحمد زيد الكيلاني	38
شهداء الآخرة	الشيخ د. أحمد خالد شوباش	48
حكم تغيير النية في الصلاة، وقطع الصلاة للالتحاق بصلاة الجماعة	أ. شريف مفارجة	61
الاختلاف: مفهومه، وأدبه، وأنواعه	أ. روان عمر شيخ	66

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	73

فهرس العدد

مواعظ وقيم

أهمية الأخلاق في الإسلام	أ. محمد خليل جاد الله	80
الشكر بالعمل	أ. يوسف عدوي	86
السعادة نعمة كبيرة فحذار من لصوصها!	أ. كمال بواطنة	95

أدبيات

اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	101
قصيدة - نهوض من الركام	أ. زهدي حنتولي	104

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العـــام ودوائر الإفتـــاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	105
مسابقة العدد 174	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 172	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

وهل بعد ذلك الشر من خير؟

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

جاء هذا السؤال في نص حديث صحيح رواه الإمام البخاري، تخلله حوار تعليمي وعظي توضيحي جرى بين الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، والرسول، صلى الله عليه وسلم، حول ما كان وسيكون من أمريٍّ الخير والشر في مجريات الأمر العام، وواقع المسلمين، حيث قال أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)[*]

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

هذا الحديث الشريف يحمل في طياته وتفاصيله دلالات وعبراً جديرة بالتأمل والتدبر، والمسلمون الذين يمرون في هذه الأيام بأوضاع مأساوية اختلط فيها الحابل بالنابل، والشر بالخير، والظلام بالنور، حري بهم أن يقفوا ملياً عند معاني هذا الحديث وتصريحات راويه، رضي الله عنه، وإجابات الرسول، صلى الله عليه وسلم، السبعة المقتضبة والجامعة في الآن نفسه عن أسئلته السبع التي طرحت عليه فيه، والتي يمكن الوقوف عندها على النحو الآتي:

كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ:

قدم حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، للأسئلة التي طرحها على الرسول، صلى الله عليه وسلم، بتوطئة أشار فيها إلى ما كانوا عليه من حال الجاهلية والشر، الذي كان سائداً فيها، فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ)، مشيراً بذلك إِلَى الحال الذي كان سائداً قبل الْإِسْلَام من الْكفْر، وَقتل بَعضهم بَعْضًا، وَنهب بَعضهم بَعْضًا، وارتكاب الفَوَاحِش.[1]

فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ:

ووصف رضي الله عنه، حالهم الجديد بعد أن هداهم الله للإسلام بـ "الخير" فقال: «فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ» يَعْنِي: جاءهم الْإِيمَان والأمن وَصَلَاح الْحَال وَاجْتنَاب الفَوَاحِش[2]، فالخير الذي جاء بعد الجاهلية تمثل ببعثة النبي، صلى الله عليه وسلم، وتشييد مباني الإسلام، وهدم قواعد الكفر والضلال.[3]

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194.
2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194.
3. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 6 /55.

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

بعد هذه المقدمة، شرع حذيفة، رضي الله عنه، بطرح أسئلته عما سيكون بالنسبة إلى حالي الخير والشر في واقع المسلمين وحياتهم، بعد أن أنعم الله عليهم بالإسلام وخيره، بادئاً بالسؤال عن إمكانية عودة الشر، الذي أشار إلى نوع منه في مقدمته، فقال: (فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟) وطرح هذا السؤال يدل على رغبة في معرفة الحقيقة من مكمنها، ويتماشى أيضاً مع النهج الذي أشار إليه، رضي الله عنه، من حرصه على السؤال عن الشر لتجنب الوقوع في حباله وويلاته.

قَالَ: (نَعَمْ)

إجابة الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن السؤال الأول الذي طرحه حذيفة، رضي الله عنه، كانت بالإيجاب، أي أن الخير الذي عم بالإسلام سيُتبع بشرّ، فالخير لن يدوم إلى ما لا نهاية، بل سيعكر صفوه شر من نوع ما، فدوام الحال من المحال، وسبحانه يقول: {... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...} (آل عمران:140)، والشاعر الأندلسي، أبو بكر الرندي، يقول:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصــانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن ســاءَتهُ أَزمانُ
وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

بعد علم حذيفة، رضي الله عنه، من الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن شراً سيكون بعد الخير الذي عم بالإسلام الذي حل بعد حال الجاهلية، والشر الذي سبق

مجيء الإسلام، تابع أسئلته بقوله: «وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟» وذلك تماشياً مع نهجه وغايته، المشار إليهما آنفاً.

(وَفِيهِ دَخَنٌ)

أجاب الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن سؤال حذيفة هذا ببيان أن ذاك الشر سيتبعه خير، لكن فيه "دَخَناً" والدخن بِفَتْح الدَّال والْخَاء هُوَ الدُّخان، وَأَرَادَ أن الخير الذي سيكون في هذه المرحلة لن يكون خَالِصاً، بل فِيهِ كدورة، بِمَنْزِلَة الدُّخان من النَّار، وَقيل: أَرَادَ بالدَخنِ الحقد، وَقيل: الدغل، وَقيل: فَسَاد فِي الْقلب، وَقيل: الدَخنِ كل أَمر مَكْرُوه. وَقَالَ النَّوَوِيّ: المُرَاد من الدَخَن أَن لَا تصفو الْقُلُوب بَعْضهَا لبَعض، كَمَا كَانَت عَلَيْهِ من الصفاء.[1]

وَمَا دَخَنُهُ؟

بعد تلقي حذيفة، رضي الله عنه، هذه الإجابة، سأل عن "الدَّخَنِ" الذي سيخالط الخير القادم، فقال: «وَمَا دَخَنُهُ؟» أي ما كدره؟ حتى بات غير صاف ولا خالص.

وقد فسر الرسول، صلى الله عليه وسلم، المراد من "الدخَنِ" الذي سيخالط الخير التالي للشر في هذه المرحلة الواقعية والتاريخية المشار إليها في حديث حذيفة آنف الذكر، فقَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»

ومعنى (بغير هديي) أي بغير سنتي وطريقتي.[2]

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194.
2. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 10 /183.

(تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)؛ أي تعرف منهم الخير فتشكره، والشر فتنكره، وهو من المقابلة المعنوية، فهو راجع إلى قوله: وفيه دخن، والخطاب في «تَعْرِفُ وَتُنْكِرُ» من الخطاب العام.[1]

وفي مرقاة المفاتيح اعتراض على تعميم الخطاب هنا، فقيل: إن فِيهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ لَهُ قَابِلِيَّةُ مَعْرِفَةِ الْمَعْرُوفِ وَإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، فَالْخِطَابُ خَاصٌّ لِحُذَيْفَةَ، وَأَمْثَالِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّيَانَةِ.[2]

فقَوْله: « تَعْرِفُ مِنْهُم» أَي: من الْقَوْم الْمَذْكُورين، «وَتُنْكِرُ» يَعْنِي من أَعْمَالهم.

وَقَالَ القَاضِي: الْخَيْر بعد الشَّرّ أَيَّام عمر بن عبد الْعَزِيز، رَضِي الله عَنهُ، وَالَّذِي تعرف مِنْهُم وتنكرهم الْأُمَرَاء بعده، وَمِنْهُم من يَدْعُو إِلَى بِدعَة وضلالة كالخوارج.

وَقَالَ الْكرْمَانِي: يحْتَمل أَن يُرَاد بِالشَّرِّ زمَان قتل عُثْمَان، رَضِي الله عَنهُ، وبالخير بعده، زمَان خلَافَة عَليّ، رَضِي الله عَنهُ، والدخَنُ الْخَوَارِج وَنَحْوهم، وَالشَّر بعده زمَان الَّذين يلعنونه على المنابر.[3]

فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

لم يكتف حذيفة، رضي الله عنه، بهذا التفسير للمراد بـ "الدخن" الذي سيخالط الخير القادم بعد ذاك الشر، فسأل عن إمكانية أن يتلو الخير المختلط بـ "الدَخَنِ" شر، فقال: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

وقد أجاب عليه الصلاة والسلام، عن هذا السؤال لحذيفة، رضي الله عنه،

1. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 6 /55.
2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 8 /3380 - 3381.
3. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194.

بالإيجاب والإثبات، أي أن الخير المختلط بـ (الدَخَنِ) سَيُتْبَعُ بشر، وفسر طبيعة هذا الشر بقوله: «دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قَوْله: «دعاة» بِضَم الدَّال، جمع دَاع.[1]

(أَبْوَابِ جَهَنَّمَ) أي باعتبار ما يؤول إليه شأنهم؛ أي يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس، فلذا كان بمنزلة أبواب جهنم (من أجابهم إليها) أي إلى الخصال التي تؤول إليها (قذفوه فيها) في جهنم.[2]

فجَعَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعْوَةَ الدُّعَاةِ إلى الضلالة، وَإِجَابَةَ الْمَدْعُوِّينَ، سَبَبًا لِإِدْخَالِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَدُخُولِهِمْ فِيهَا، وَجَعَلَ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّلْبِيسِ مَنْزِلَةَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ.

(مَنْ أَجَابَهُمْ) أَيِ الدُّعَاةِ (إِلَيْهَا) أَيْ: إِلَى جَهَنَّمَ، يَعْنِي: إِلَى الضَّلَالَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهَا (قَذَفُوهُ فِيهَا)، أَيْ: رَمَوْهُ، وَصَارُوا سَبَبًا لِقَذْفِهِ فِي جَهَنَّمَ. قِيلَ: الْمُرَادُ بِالدُّعَاةِ مَنْ قَامَ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ، وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَمْ توجد فِيهِمْ شُرُوطُ الْإِمَارَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ، وَجُعِلُوا دُعَاةً عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ بِاعْتِبَارِ الْمَآلِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} (النساء: 10)، وَقِيلَ: هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} (الانفطار: 13 – 14)، فَكَأَنَّهُمْ كَائِنُونَ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، دَاعِينَ النَّاسَ إِلَى الدُّخُولِ فِي ضِيَافَتِهِمْ؛ أَوْ لِأَنَّ الْمُبَاشِرَ بِسَبَبِ شَيْءٍ، فَكَأَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِ، دَاخِلٌ فِيهِ.[3]

---

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194 - 195.
2. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 6 /55.
3. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 8 /3381 - 3382.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟

حذيفة، رضي الله عنه، أراد التعمق في الإحاطة بوصف الدعاة إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، الذين مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، المتمثل بهم الشر القادم، فطلب من الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصفهم، فبين له عليه الصلاة والسلام، بأن هؤلاء الدعاة مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قَوْله: (من جلدتنا) أَي: من قَومنَا وَمن أهل لِسَاننا وملتنا. وَفِيه: إِشَارَة إِلَى أَنهم من الْعَرَب، وَقَالَ الدَّاودِيّ: أَي من بني آدم، وَقَالَ القَاضِي: مَعْنَاهُ أَنهم فِي الظَّاهِر على ملتنا، وَفِي الْبَاطِن مخالفون، وجلدة الشَّيْء ظَاهره، وَهِي فِي الأَصْل غشاء الْبدن.[1]

وَفِيهِ أَنَّ الجِلْدَةَ أَخَصُّ مِنَ الْجِلْدِ، وَجِلْدُ الشَّيْءِ ظَاهِرُهُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ غِشَاءُ الْبَدَنِ. "وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"؛ أَيْ: بِالعَرَبِيَّةِ، أَوْ بِالمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ، أَوْ بِمَا قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ، صلى الله عليه وسلم، وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ.[2]

فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

انتقل حذيفة، رضي الله عنه، بعد هذه المحاورة التعليمية الوعظية التي جرت بينه وبين النبي، صلى الله عليه وسلم، للسؤال عن توجيهاته، عليه الصلاة والسلام، لمن يدرك واقع ذاك الشر، الذي عماده دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، الذين يكونون مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، فقال رضي الله عنه: «فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟»

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194 - 195.
2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 8 /3382.

تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ:

في رواية عند مسلم عن حذيفة، رضي الله عنه، وضح الرسول، صلى الله عليه وسلم، حال أئمة الضلال، الذين يظهرون في الزمن المتصف بالشر بعد زمن الخير الذي فيه دخن، وأرشد إلى انتهاج درب النجاة من شرهم، فقَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»(*)

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، وجه حذيفة إن أدرك هذه المرحلة المتسمة بالشر؛ الذي يظهر فيه دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، وهم مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، بأن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قَوْله: (وإمامهم) أَي: أَمِيرهمْ.

وَفِيه: حجَّة لجَماعَة الفُقَهَاء فِي وجوب لُزُوم جمَاعَة المُسلمين، وَترك القيام على أَئِمَّة الحق؛ لِأَنَّهُ أَمر بذلك، وَلم يَأْمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم.

وَاخْتلفُوا فِي صفة الْأَمر بذلك، فَقَالَ بَعضهم: هُوَ أَمر إِيجَاب بِلُزُوم الجَمَاعَة، وَهِي السوَاد الْأَعْظَم، وَقَالَ آخَرُونَ: الجَمَاعَة الَّتِي أَمر الشَّارِع بلزومها هِيَ جمَاعَة العلمَاء، لِأَن الله عز وَجل جعلهم حجَّة على خلقه، وإليهم تفزع الْعَامَّة فِي دينهَا، وهم تبع لَهَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: هم جمَاعَة الصَّحَابَة الَّذين قَامُوا بِالدّينِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا جمَاعَة أهل الإِسْلَام مَا داموا مُجْتَمعين على أَمر وَاجِب على أهل الْملَل، فَإِذا كَانَ فيهم

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

مُخَالف مِنْهُم فليسوا مُجْتَمعين.

قَوْله: (وَأَنت على ذَلِك) أَي: على العض، الَّذِي هُوَ كِنَايَة عَن لُزُوم جمَاعَة الْمُسلمين، وإطاعة سلاطينهم وَلَو جاروا.(*)

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟

حذيفة، رضي الله عنه، بعد تلقيه هذا التوجيه النبوي الناجع لمن يدرك هذه المرحلة من تاريخ المسلمين وواقعهم، تابع أسئلته، بسؤال ذي صلة منطقية، فقال: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟»

وبالرد على هذا السؤال، ختم هذا الحوار التعليمي المشوق، بإجابة من لدن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحمل في طياتها وجنباتها وأطرافها ولبها نصحاً للحيارى وقت الضياع، الذي تغيب فيه شمس الخير حتى المختلط بالدخن، لمّا لا يكون للمسلمين إمام ولا جماعة، ولا يحتاج تردي وضعهم في هذا الحال إلى شرح طويل، ومن أهم معالم وضع الضياع هذا انتشار الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واستئساد الواوي على الأسد، وانتشار ظاهرة غثاء السيل، لا مهابة لكثرة المسلمين، ولا يرهب جانبهم، وتتكالب عليهم الأمم، ويطول فيه ظلام الليل، ويتأخر بزوغ نور الفجر، وطلوع ضوء الشمس، وتلد الأمة ربتها، ويتطاول الرعاء بالبنيان.

اعتزال الفرق والعض بأصل شجرة:

من كتب له إدراك هذا الحال، وانتابته الحيرة فيما سيفعل، وإلى من يلجأ من الخلق يأمنهم، ويرجو نجدتهم ونصرتهم ونصحهم، خاصة إذا انقسم المسلمون إلى فرق شتى، متناحرة متخاصمة متحاربة، فالاعتزال قد يكون هو المخرج والحل، لذا تلخص

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194 - 195.

رد الرسول، صلى الله عليه وسلم، على سؤال حذيفة الأخير، حول ما سيفعل إن لَمْ يَكُنْ لَلمسلمين جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ فقَالَ عليه الصلاة والسلام، له: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"

قَوْله: (وَأَن تعض) بِفَتْح العين، وَتَشْديد الضَّاد، من عضض يعضض، من بَاب علم يعلم، أَي: وَلَو كَانَ الاعتزال من تِلْكَ الفرق بالعض، فَلَا تعدل عَنهُ، وَلَفظ: تعض، مَنْصُوب عِنْد الروَاة كلهم، وَجوز بَعضهم الرّفْع، وَلَا يجوز ذَلِك إِلاَّ إِذا جعل أَن مُخَفّفَة من المثقلة.

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيّ: الْمَعْنى إِذا لم يكن فِي الأَرْض خَليفَة فَعَلَيْك بالعزلة وَالصَّبْر على تحمل شدَّة الزَّمَان، وعض أصل الشَّجَرَة كِنَايَة عَن مكابدة الْمَشَقَّة، كَقَوْلِهِم: فلَان يعَض الْحِجَارَة من شدَّة الْأَلَم، أَو المُرَاد اللُّزُوم.[1]

قال التوربشتي: أي تتمسك بما تقوي به عزيمتك على اعتزالهم، ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكًا.

وقال الطيبي: هذا شرط تعقب به الكلام تتميمًا ومبالغة؛ أي اعتزل الناس اعتزالاً لا غاية بعده، ولو قنعت فيه بِعَضِ أصل الشجرة الفعل، فإنه خير لك.[2]

توجيه عام للاتعاظ غير خاص بحذيفة:

هذا التوجيه النبوي بالتأكيد غير محصور لهذا الصحابي المحاور، حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، وإنما هو توجيه له ولغيره من المسلمين الحاضرين والغائبين والقادمين إلى معقل الإسلام إلى يوم الدين، فالعبرة في هذه المدارسة وأمثالها

1. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 24 /194 - 195.
2. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 6 /56.

تكون للعموم، ولا تكون محصورة بالخصوص، وكم من تعقيب قرآني أشار لهذه الفائدة وصميم غايتها، عند التعقيب على سرد قصص السالفين والغابرين، ومن ذلك قوله عز وجل، بشأن أخذ القرى الظالمة: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} (هود:102 - 103) وما قاله تعالى تعقيباً على عقاب قوم لوط: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ* وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}(الحجر:73 - 77)

فالاعتبار والاتعاظ بالآيات الواقعة غاية قرآنية عامة مقصودة، لا تنحصر بزمان ولا مكان معينين دون سواهما، بل هما منهج قويم، وقد نبه رب العالمين إلى الانتفاع بالذكرى، فقال سبحانه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق:37)، وقال عز وجل: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات:55)، {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} (عبس:4) {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} (الأعلى:9)

حكمة السؤال عن الشر مخافة إدراكه:

مهد حذيفة بن اليمان لحواره مع الرسول، صلى الله عليه وسلم، آنف البيان، بما يفسر توجهه لطرح أسئلته المذكورة على الرسول، عليه الصلاة والسلام، فقال أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، في مقدمة هذا الحديث الشريف أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يبرر

طرح أسئلته المذكورة، والحرص على تلقي إجابات واضحة من الرسول، صلى الله عليه وسلم، عنها، بتبرير أثبته في التمهيد لحديثه، حين قال: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي).

نصب "مَخَافَةَ" على التعليل، وأن مصدرية، والشر الفتنة، ووهن عرى الإسلام، واستيلاء الضلال، وفشوّ البدعة، والخير عكسه، يدل عليه قوله: "فقلت: يا رسول الله؛ إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير".[1]

قَال حذيفة: "كَانَ النَّاسُ" أَيْ: أَكْثَرُهُمْ (يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْخَيْرِ)، أَيْ: عَنِ الطَّاعَةِ لِيَمْتَثِلُوهَا، أَوْ عَنِ السَّعَةِ وَالرَّخَاءِ، لِيَفْرَحُوا بِهِ وَيَسْتَعِينُوا بِالدُّنْيَا عَلَى الْأُخْرَى "وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ" أَيْ: عَنِ الْمَعْصِيَةِ أَوِ الْفِتْنَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى التَّوْسِعَةِ "مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي" أَيْ: خَشْيَةَ أَنْ يَلْحَقَنِي الشَّرُّ نَفْسُهُ أَوْ بِسَبَبِهِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ مُخْتَارُ الْحُكَمَاءِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، أَنَّ رِعَايَةَ الِاحْتِمَاءِ أَوْلَى فِي دَفْعِ الدَّاءِ مِنِ اسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ، وَأَنَّ التَّخْلِيَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ، وَفِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ، حَيْثُ نَفَى السِّوَى، ثُمَّ أَثْبَتَ الْمَوْلَى، بَلْ مَدَارُ جُلِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى النُّعُوتِ التَّنْزِيهِيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} (الشورى: 11)، دُونَ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ؛ لِظُهُورِ وُجُودِهَا فِي خَالِقِ الْأَشْيَاءِ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ.[2]

1. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، 6 /55.
2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 8 /3380 - 3381.

واقع المسلمين اليوم في ضوء هذا الحديث الشريف:

حاول بعض العلماء إنزال مراحل الخير والشر المتحدث عنها في حديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، آنف الذكر، على مراحل محددة بعينها من مراحل التاريخ الإسلامي، ولا غضاضة في ذلك، والله تعالى أعلم، لكن أليس من المشروع الخروج باستنتاجات أخرى؟ لأن تاريخ الإسلام الواسع شهد صنوفاً من ألوان الخير والشر، التي سادت أحوال المسلمين العامة، أو التي تخص أجزاء منهم، سواء تعلقت تلك الأجزاء بالجغرافيا أم التاريخ أم الواقع، فهل يعقل أن يحصر التقسيم المبين في هذا الحديث الشريف بحقب زمانية معينة دون سواها؟ وماذا سيقال بالنسبة إلى الحقب الأخرى؟ كالتي تعيشها أمة الإسلام في هذا الزمان، الذي بَعدُ عن التقسيم المتحدث عنه مئات السنين، فهل زماننا هذا يدرج تحت مسمى الخير أو الشر؟ أو الخير الذي فيه دخن؟ أو الذي يطلب فيه اعتزال الفرق، ولو بالعض على جذع شجرة؟ لافتقار المسلمين إلى جماعة وإمام يحكمهم بالإسلام، لما يكون قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِ النبي، صلى الله عليه وسلم، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، ويكون دُعَاةٌ الضلالة إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، والذين هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، أم هو الزمان الذي فيه الخير، والدعوة الواعية إليه، والحرص عليه؟

والذي يبدو من استقراء عموم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، أن مسألة وجود الخير والشر نسبية، ويمكن أن يغلب أحدهما الآخر في النطاق والتأثير في أحوال، ويحدث العكس في أحوال أخرى، والخير لن ينقطع من واقع أمة الإسلام،

مصداقاً لقوله، صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)(*)

والوعود الربانية للمؤمنين بالتمكين في الأرض والنصر كثيرة، منها ما تضمنه قوله عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55)

من هنا قد يكون من السلامة اصطحاب الأمل والتفاؤل عند قراءة واقع أمة الإسلام في ضوء حديث حذيفة بن اليمان آنف الذكر، الذي تعرض لذكر مراحل للخير وأخرى للشر في حياة المسلمين وواقعهم، يستدعي طرح التشاؤم جانباً، حتى ونحن نواجه المصاعب والمحن وأعمال الإبادة لشيبنا وشبابنا وأطفالنا ورجالنا ونسائنا، والفتك بهم، والدمار لديارنا ومساكننا، والقلع والحرق لزروعنا وثمارنا، والقتل لمواشينا، والتدنيس لمقدساتنا، وتخريب مساجدنا، وتدمير معالمها ومآذنها ووجودها.

لن يملك أحد أن ينفي الضنك الذي نعيش، ولكن لن يقبل من أحد أن يعلنها جنازة لوجودنا، ومأتماً لضياعنا، فمن الظلام الدامس يبزغ نور الفجر، ومن قسوة المحن يتجدد الوجود، ويتحقق الفرح للمؤمنين الذين يصبون للانتصار والعز كما تحقق لهم بنصر الروم على الفرس، لما تحقق ما وعدهم ربهم، حيث قال تعالى: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم:1 - 6)

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب منه.

والرسول، صلى الله عليه وسلم، بشر المسلمين الذين اشتكوا إليه ضراوة الشدائد التي انتابتهم، بنصر الإسلام وأمنه وأمانه، وهم في ذروة الصعاب والمحن، فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[*]

فما أحوجنا إلى تلمس الأمل من هذه المبشرات وأمثالها، ونحن نعيش أحوالاً لا نحسد عليها، فاستقواء الأعداء علينا شرس، وتقاطرهم من بقاع كثيرة لإبادتنا واقتلاعنا من الوجود ظاهر، إضافة إلى افتراق كلمتنا، وتنازعنا في الأمر، ما أفضى إلى فشلنا الذي نجد، وستبقى الحلول تتدحرج من فشل لآخر، حتى نهتدي للدرب الذي صلح عليه أمر سلفنا، فعمهم الخير به، وسادوا من استعبدوهم من قبل، بخير الهدى، الذي نسأل الله أن يهدينا إليه، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه سبحانه، لنفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة.

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

جريمة إسناد البحوث والدراسات العلمية لغير معدها

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

يسند بعض الناس بحوثاً أو دراسات علمية إلى أنفسهم عن طريق الشراء، أو الاحتيال، أو الاختلاس، أو الانتحال، وما إلى ذلك من الأساليب والوسائل، ويتجاوزون بذلك متطلبات جامعية، أو بحثية، وقد ينالون درجات علمية أو وظيفية، ويحصلون على شهادات وجوائز ومكافآت مالية أو معنوية، بسبب هذا الإسناد الزائف في الحقيقة، ويلحق بهذه التصرفات المنحرفة عن جادة المنهج العلمي والمبادئ والقيم الشرعية، الاقتباس من مؤلفات الآخرين وأبحاثهم دون عزو لهم، وبعض الناس يطلقون على مثل هذا الأفعال سرقة، وبعضهم يصفها بالغش والتزييف والانتحال، وبغض النظر عن المسمى أو الوصف المطلق عليها، فهي تصل إلى فظاعة الأفعال الإجرامية الخاطئة، يستحق مقترفها عقوبة في الدارين، ولعلماء الشريعة الإسلامية فتاوى تشدد على تحريم هذه المنتهكات العلمية، وتدين من يعد الأبحاث لهذه الغاية، وبهذه الطريقة، ومن تُعدُ له ويستخدمها، والقوانين الجامعية وغيرها تُجرَّم من يقترف هذه الجناية، وعادة ما تشكل لجان جامعية وقانونية للتحقيق في أي جنحة

يتم كشفها من هذا القبيل، وتنتهي أعمال هكذا لجان عادة بتقديم توصيات إلى الجهات المسؤولة بمعاقبة من تثبت إدانته بهذا الجرم، وقد يجرد بعض الضالعين فيه من شهاداتهم العلمية أو درجاتهم الأكاديمية التي سبق أن نالوها أو حصلوا عليها بسبب هذه الخطيئة.

ويمكن الحديث عن هذه المشكلة الأخلاقية والتعليمية والتربوية، لإلقاء الضوء عليها وخطرها وضررها، وبيان حكم الشرع فيها، من خلال التطرق لموضوعات ومسائل مختلفة، منها ما يأتي:

معنى السرقة وبشاعتها:

السّرقة بفتح السّين وكسر الرّاء، ويجوز إسكانها، ويجوز كسر أوّله، وسكون ثانيه: الأخذ خفيةً.

وعرّفت في الشّرع بأخذ شيءٍ خُفيةً ليس للآخذ أخذه، ومن اشترط الحِرز، وهم الجمهور، زاد فيه من حرز مثله.[1]

ويبين ابن عاشور معنى السَّرِقَة، فيقول بأنها: أَخْذُ أحد شَيْئاً مَا يَمْلِكُهُ خُفْيَةً عَنْ مَالِكِهِ، مُخْرِجًا إِيَّاهُ مِنْ مَوْضِعٍ هُوَ حِرْزُ مِثْلِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ آخِذُهُ بِالدُّخُولِ إِلَيْهِ.
وَالْمَسْرُوقُ: مَا لَهُ مَنْفَعَةٌ لَا يَتَسَامَحُ النَّاسُ فِي إِضَاعَتِهِ.[2]

وعرفت السرقة شرعاً: بأنها أخذ العاقل البالغ مقداراً مخصوصاً من المال على طريق الاستخفاء من حرز بمكان أو حافظ، ودون شبهة.[3]

---

1. فتح السلام شرح عمدة الأحكام من فتح الباري، 6 /466.
2. التحرير والتنوير، 6 /191.
3. التفسير الوسيط للطنطاوي، 4 /147.

ويذكر صاحب زهرة التفاسير بأن علماء الشريعة اتفقوا على أن السرقة أخذ المال على سبيل الاستخفاء، وهذا معنى فقهي يلتقي مع المعنى اللغوي، ولكن الفقهاء زادوا قيداً في هذا المعنى، وهو أن يكون الأخذ من حرز مثله، أي يكون المال محرزاً مصوناً محفوظاً معنياً بحفظه العناية التي تليق، وقال الفقهاء: إن الأخذ على سبيل الاستخفاء هو ركن السرقة، وكون الأخذ لمال مُحرز محفوظ حفظاً يليق بمثله شرطاً لاستحقاق العقوبة المحدودة التي ذكرها الشارع الحكيم.

وإذا كانت السرقة لَا يتحقق ذكرها إلا إذا كان الأخذ على سبيل الاستخفاء، فإنه لَا يكون المغتصب سارقاً، ولا يكون المختلس سارقاً، وقد فرقوا بين المختلس والسارق، فقالوا: إن السارق يكون مختفياً غير معلوم للمسروق منه، أما المختلس فإنه لَا يكون مختفياً، بل يكون ظاهراً، ولكن يأخذ في غفلة من صاحب المال.[1]

ولبشاعة جريمة السرقة أمر الله بقطع يد السارق، فقال عز وجل: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة:38)

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[2]

1. زهرة التفاسير، 4 /2170.
2. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

ولُعِنَ فاعلها، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ» قَالَ الأَعْمَشُ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، وَالحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ»[1]

وتم التشديد على عقاب السارق حتى لو كانت قيمة المسروق بسيطة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَطَعَ فِي مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلاَثَةُ دَرَاهِمَ)[2]

وللعلماء اجتهادات حول تفاصيل الأحكام الفقهية المتعلقة بهذه المسألة، ليس هنا مجال للخوض فيها.

هل السرقة العلمية تستوجب الحد المقرر شرعاً على سارق المال العيني أو النقدي؟

صفة السرقة التي يعاقب مرتكبها بحد قطع اليد، حسب المبين آنفاً، اختلف العلماء المعاصرون حول إلحاق السرقة العلمية بها، ود. جمال أحمد زيد الكيلاني في بحثه: "السرقة العلمية والمسؤولية الجنائية المترتبة عليها"، الذي أعده عام 2016، وأشار فيه إلى أن هذه المسألة من النوازل المعاصرة، وهي من الجرائم الأخلاقية التي لا تقل خطورتها عن جريمة سرقة الأموال العينية، بالنظر إلى مآلاتها ونتائجها، وذكر ثلاثة آراء للعلماء حول المسؤولية الجنائية المترتبة على جريمة سرقة الإنتاج العلمي في الفقه الإسلامي، حال ثبوتها، وعقوبتها، وتتلخص تلك الآراء بالآتي:

1. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسم.
2. صحيح البخاري، كتاب الحدود، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: 38] وَفِي كَمْ يُقْطَعُ؟.

1) وجوب تطبيق حد السرقة على سارق الإنتاج العلمي أو الحقوق الفكرية.

2) ذكر أن أكثر العلماء المعاصرين ينظرون بخطورة لهذا النوع من السرقات، وهي تستحق العقوبة، لكنهم لم يوجبوا إقامة حد السرقة على فاعليها.

3) وذهب بعضهم إلى عدم اعتبار التأليف والإنتاج العلمي مالاً، فلا يجوز حسب وجهة نظرهم أخذ العوض عنه.

ولكل من أصحاب هذه الآراء الثلاثة حجته واجتهاده، ورجح الكيلاني في بحثه هذا بالنسبة إلى هذه المسألة الرأي الثاني الذي يقر بخطورة هذا النوع من السرقات، وأنها تستوجب العقوبة التعزيرية، من حبس أو تعويض أو غير ذلك، لكن دون أن تصل إلى حد السرقة المقرر في الشريعة، لأن شروطها غير متحققة.[*]

عينة من فتاوى تجريم إسناد البحوث والدراسات العلمية لغير معدها وتحريمه:

صدرت عن مراكز الإفتاء العالمية، وعلماء الأمة، فتاوى حول حكم شراء الأبحاث العلمية أو بيعها، أو نسبتها إلى غير معدها، ومن ضمن تلك الفتاوى ما صدر عن دار الإفتاء الفلسطينية بالخصوص، وما له علاقة بهذا الجانب، والتي يمكن عرض نصوص بعض منها كعينة مختارة للفتاوى التي صدرت من هذا القبيل، وذلك وفق الآتي:

عمل أبحاث لطلبة الجامعة مقابل مبلغ مالي:

في إحدى الفتاوى التي صدرت عن المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية رداً

* الكيلاني، د. جمال أحمد زيد. السرقة العلمية والمسؤولية الجنائية المترتبة عليها، 2016 كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

على سؤال ورد إلى دار الإفتاء الفلسطينية بتاريخ 17 /9 /2024م، حول حكم عمل أبحاث لطلبة الجامعة مقابل الحصول على مبلغٍ مالي منهم، فيحصل الطلبة بذلك على العلامة دون جهد يبذل منهم، وقد صدرت فتوى تم فيها التأكيد على تحريم سرقة البحوث والدراسات التربوية والعلمية، ذلك لأن الأبحاث الجامعية إحدى طرق تقويم قدرات الطلبة في البحث العلمي، واختبار مستواهم، ويفترض أن يعدّوها بأنفسهم، وأن يبذلوا جهدهم فيها، وفق المناهج العلمية، ويحصلون على درجاتهم الأكاديمية وفقاً لذلك.

وبالنسبة إلى إعداد الأبحاث الجامعية للطلبة، فذلك لا يخلو من حالتين:

1. عمل خدماتي: يتعلق بطباعة المادة البحثية، وتنسيقها، وترتيبها، وتجهيزها، أو تقديم الإرشادات حول الموضوعات والمراجع.

2. عمل بحثي: يتعلق بإعداد البحث العلمي كاملاً؛ من جمع للمعلومات، وصياغتها، وتحليلها، ومناقشتها، واستخلاص النتائج والتوصيات.

فالنوع الأول شكلي، لا حرج من العمل فيه، واستحقاق الأجر عليه، أما العمل الثاني فهو جوهري، ومقصود لذاته، فيحرم شرعاً أن يجريه غير صاحبه، لما في خلاف ذلك من كذب، وغش، وخداع، وتغرير، وتعاون على إثم، واستحقاق لدرجة ومنصب بغير وجه حق، فالطالب يقدّم البحث العلمي باسمه لأستاذه ليحصل على علامة أكاديمية، وهو في الحقيقة اشتراه، ولم يعدُّه بنفسه، وقد حذّر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بصورة منفّرة من مثل هذا العمل بقوله: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ

كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[1]، أي أنّ المتزيِّن بما ليس عنده ليتكثَّر بذلك، كالذي يلبس ثوبيْن من الزور، وسبب التثنية في الحديث أنه يكذب على نفسه وعلى غيره، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه[2]، والأجر المستحق عليه حرام، والله تعالى أعلم، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

تحريم شراء الشهادات العلمية بدرجاتها المختلفة:

صدرت عن المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية فتوى أخرى رداً على سؤال، ورد إلى دار الإفتاء الفلسطينية بتاريخ 22 /8 /2021، ونصه: رجل يحمل شهادة جامعية في تخصص الشريعة الإسلامية، لكنه لا يستطيع العمل بهذه الشهادة؛ لأنه لا يملك جنسية البلد الذي يعيش فيه، فتعلم صناعة برامج الحاسب الآلي واحترف المهنة، حتى شهد له المبرمجون بذلك، لكنه لا يحمل شهادة جامعية في هذا المجال تمكنه من العمل، فهل يجوز له أن يشتريها ليستطيع العمل؟

وفي الرد عن هذا السؤال تم التأكيد على تحريم شراء الشهادات الجامعية في فتوى صدرت عن المفتي العام بالخصوص، بين فيها أن الصنيع المذكور فيه يعد من قبيل الغش الذي حرمه الشرع، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[3]، والله تعالى أعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

1. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، وما ينهى من افتخار الضّرّة.
2. فتح الباري لابن حجر: 9 /317 - 318
3. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي، صلى الله تعالى عليه وسلم: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا).

حكم إعداد مشاريع دراسية جامعية عن الغير:

صدرت عن المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية فتوى حول حكم المساعدة في إعداد مشاريع دراسية جامعية، رداً على سؤال ورد إلى دار الإفتاء الفلسطينية بتاريخ 17 /11 /2019 ونصه: أنا طالب جامعي في السنة الأخيرة، وأعمل عن طريق الإنترنت، وقد عرض عليّ إعداد مشروع دراسي، تبين لي من خلال النظر في ملفاته أنه واجب أكاديمي لمساق جامعي، فأخبرت صاحبه أنني أعتذر عن إعداده لأن ذلك يُعد غشًا، فأجابني بأن هذا المشروع لصالح الدكتور شخصيًا، وأنه اتفق معه على أن يعده بمقابل، وعرض عليّ المشروع لضيق الوقت، وسيأخذ عليه نسبة، فهل آخذ بظاهر كلامه، مع أنني أشك فيه؟

وفي الرد على هذا السؤال تم التأكيد على تحريم إسناد البحث العلمي إلى غير معده، كون ذلك من الغش، وذلك في فتوى صدرت عن المفتي العام، والتي بين فيها أن إعداد الرسائل والبحوث العلمية يُحكم بضوابط ينبغي مراعاتها، ومنها الأمانة العلمية، التي يتنافى معها إسناد البحث إلى غير مُعدّه، والله تعالى يقول: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران: 188)، ويندرج ذلك تحت الغش، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)(*)

وبالنسبة إلى إعداد المشروع الدراسي المشار إليه في هذا السؤال؛ فإذا كان إعداده من الغش، أو غلب على ظنك ذلك، فينبغي لك أن تمتنع عن إعداده، حتى لو شككت

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي، صلى الله تعالى عليه وسلم: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا).

في الأمر، فننصحك بالابتعاد عنه حتى ينتفي عن هذا العمل التحريم أو شبهته، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ...)[*]، والله تعالى أعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

حقوق الطبع والملكية الخاصة بالطباعة والنشر والتوزيع:

يحترم الإسلام حقوق الناس التي حصلوا عليها بطرق مشروعة، سواء تعلقت بالأموال المنقولة أم الثابتة، أم بالتي حازوا عليها بالابتكار والاختراع، والشهرة.

ومن الحقوق التي تحترمها القوانين عند الناس، ويقدرها الإسلام ويعمل على حفظها، تلك التي تتعلق بحقوق الطباعة والنشر، وحقوق الابتكار والاختراع، ومجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من 1 - 6 جمادى الأولى 1409هـ الموافق 10 - 15 كانون الأول (ديسمبر) 1988م، بشأن الحقوق المعنوية، بيّن في قراره رقم: 43 (5:5) أن الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار، هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها. وهذه الحقوق يعتد بها شرعًا، فلا يجوز الاعتداء عليها.

وأنه يجوز التصرف في الاسم التجاري أو العنوان التجاري أو العلامة التجارية، ونقل أي منها بعوض مالي، إذا انتفى الغرر والتدليس والغش، باعتبار أن ذلك أصبح حقًّا ماليًّا.

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه.

وقرر كذلك أن حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها.(*)

ومن الفتاوى التي صدرت عن دار الإفتاء الفلسطينية ومجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين بالخصوص، ما يأتي:

فك الشيفرة الخاصة ببرامج الحاسوب:

صدر عن مجلس الإفتاء الأعلى قرار يحمل الرقم 2 /67 بتاريخ 25 /3 /2008، حول حكم فك الشيفرة الخاصة ببرامج الحاسوب، رداً على سؤال نصه: ما الحكم الشرعي في فك الشيفرة الخاصة ببرامج الحاسوب والمملوكة للشركات المصدرة وتكون سرقتها بالنسخ والتزوير؟

وفي سياق الرد على هذا السؤال، رأى مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين ما يأتي:

أولاً: وجوب المحافظة على الإنجازات والمبتكرات العلمية، واعتمادها ملكاً مشروعاً لأصحابها، ولا يجوز استعمالها بدون إذن مسبق من مالكيها أو شرائها، إلا إذا كانت نفعاً علمياً لطلبة العلم المعوزين لاستخدامهم الشخصي، ولا يجوز التعدي عليها بالنسخ أو التزوير بهدف الانتفاع التجاري.

ثانياً: إن برامج الحاسب الآلي (سواء كانت برامج تشغيلية أم برامج تطبيقية، أم تخزينية، وسواء كانت برامج المصدر المهيمنة على جميع عمليات التخزين والإدخال والإخراج للبيانات أم المحررة بإحدى لغات الحاسوب) لها قيمة مالية يعتد بها شرعاً، فيجوز التصرف فيها لأصحابها من المنتجين أو الوكلاء بالبيع والشراء والإجارة ونحوها، إذا انتفى الغرر والتدليس.

* عن موقع مجمع الفقه الإسلامي المستند إلى مجلة المجمع، العدد الخامس، 3 /2267.

ثالثاً: بما أن هذه البرامج تعد حقاً مالياً لأصحابها، فهي مضمونة شرعاً، ولا يجوز الاعتداء عليها رعاية لحقوق الآخرين الذين بذلوا جهوداً وأموالاً في إنتاجها، ومنعاً لأكل أموال الناس بالباطل.

رابعاً: يجب على مشتري البرامج أن يلتزم بالشروط التي لا تخالف الشرع والقوانين المنظمة لتداولها؛ للنصوص الدالة على وجوب الوفاء بالعقود والالتزام بالشروط، فلا يجوز استنساخها للآخرين، ما دام العقد لا يسمح بذلك.

وعليه؛ فإن مجلس الإفتاء الأعلى يرى ضرورة المحافظة على حقوق الآخرين مهما كان نوعها، والمنجزات العلمية النافعة من الحاجات الملحة في زماننا الحاضر.

حكم الاستفادة من الدروس المقرصنة:

صدرت عن المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية فتوى حول حكم الاستفادة من الدروس المقرصنة، رداً على سؤال ورد إلى دار الإفتاء الفلسطينية بتاريخ 15 /2 /2023 ونصه: من خلال الإنترنت هناك من يقوم بنشر دروس مدفوعة الكلفة في المجالات كافة، ويقوم آخرون بقرصنة هذه الدروس، ونشرها عبر الإنترنت دون تكلفة، فهل تجوز الاستفادة بشكل شخصي من هذه الدروس المقرصنة؟

وفي الرد عن هذا السؤال، تم التأكيد على تحريم نسخ البرامج المقرصنة، ونشرها إذا نص أصحابها على أن الحقوق محفوظة لهم، كون ذلك من أكل أموال الناس وحقوقهم بالباطل، وذلك في فتوى صدرت عن المفتي العام، في 5 /3 /2023، والتي بين فيها: أنه لا يجوز نسخ البرامج والدروس ونشرها عبر الإنترنت إذا نص

أصحابها على أن الحقوق محفوظة لهم، أما إذا لم يُنص على منع النسخ، فيجوز نسخها ومشاهدتها من أجل الاستفادة الشخصية، دون أن يكون الهدف من ذلك أخذ الربح؛ لأن حقوق الاختراع والإعداد والإنتاج وغيرها تبقى محفوظة لأصحابها، ولا يجوز الاعتداء عليها، والله تعالى يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (النساء:29)، وهذا ما أكده مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم: 2/67، بتاريخ 25/3/ 2008.

وعليه؛ فيأثم من يعتدي على حقوق أصحاب الاختراع والإعداد والإنتاج وما شابه ذلك، والله تعالى أعلم.والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فتاوى أخرى مشابهة:

صدرت فتاوى مشابهة عن دار الإفتاء الفلسطينية، منها فتوى صدرت بتاريخ 7 /3/ 2024، مذيلة بتوقيع المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رداً عن أسئلة وردت بتاريخ 25 /4/ 2024، ونصها: في تخصص الهندسة يتم استخدام العديد من البرامج الهندسية التي تكون تكلفة شرائها عالية، قد تصل إلى ثلاثة آلاف دولار أو أكثر، والجامعة لا تشتري هذه النسخ من البرامج، والطلاب يستخدمون نسخ "كراك" من البرامج، أي لم يتم شراؤها من قبل الجامعة، فما حكم استخدامها؟ وهل دراستنا الجامعية تكون حراماً بسبب هذا؟ وكيف يمكن إكمال الدراسة إذا لم نتمكن من توفير قيمة هذه البرامج لشرائها؟

وصدرت فتوى أخرى عنها، بتاريخ 29 /4/ 2024 مذيلة أيضاً بتوقيع المفتي العام

للقدس والديار الفلسطينية، رداً على سؤال وردها من سائلة بتاريخ 23/4/2024، ونصه: أنا مقبلة على العمل في مشروع بيع كتب الأصلية، منها باهظة الثمن، لذلك تقوم بعض المطابع بنسخ الكتب، وبيعها بسعر أقل بكثير من سعرها الحقيقي، فهل يجوز بيع مثل هذه الكتب المنسوخة، والتكسب من ذلك؟

وفي الرد على هذه الأسئلة تم التركيز على تحريم التعدي على أصحاب الحقوق المحفوظة، لنهيه سبحانه عن أكل أموال الآخرين بالباطل، مع الاستناد إلى قرار مجلس الإفتاء الفلسطيني رقم 2 /67 الصادر بتاريخ 25 /3 /2008.

وقد يكون من المفيد في هذا المقام الوقوف عند أمور وأبعاد ذُمر أصحابها من ذوي العلاقة بموضوع انتحال الأبحاث العلمية، أو شراء الشهادات الأكاديمية، ومن تلك الأمور:

«المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»:

هذه العبارة المتضمنة في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ضمن كتاب النكاح، شرحها ابن حجر العسقلاني بقوله: أنّ المتزيِّن بما ليس عنده ليتكثَّر بذلك كالذي يلبس ثوبيْن من الزور، وسبب التثنية في الحديث أنه يكذب على نفسه وعلى غيره، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه.[1]

وفي رواية صحيحة أخرى أخرجها البخاري: (عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)[2]

1. فتح الباري لابن حجر: 9 /317 - 318.
2. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ، وَمَا يُنْهَى مِنَ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ.

جاء في شرح صحيح البخاري لابن بطال، أن المتشبع بما لم يعط، يعنى المتزين بأكثر مما عنده، يتكثر بذلك، ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون للرجل ولها ضرة، فتتشبع بما تدعيه من الحظوة عند زوجها، بأكثر مما عنده لها، تريد بذلك غيظ صاحبتها، وإدخال الأذى عليها، وكذلك هذا في الرجل أيضًا.

وأما قوله: (كلابس ثوبي زور) فإنه الرجل يلبس ثياب أهل الزهد في الدنيا، يريد بذلك الناس، ويُظهر من التخشع، والتقشف أكثر مما في قلبه، فهذه ثياب الزور والرياء.

وجاء في عمدة القاري عن الْكرْمَانِي، قوله: أن مَعْنَاهُ الْمظهر للشبع وَهُوَ جَائِع، كالمزور الْكَاذِب المتلبِّس بِالْبَاطِلِ، وَشبه الشِّبَع بِلبْس الثَّوْب، بِجَامِع أَنَّهُمَا يغشيان الشَّخْص تَشْبِيهاً تَحْقِيقاً أَو تخييلياً، كَمَا قرر السكاكي فِي قَوْله تَعَالَى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} (النَّحْل: 112)، قَالَ: وَفَائِدَة التَّشْبِيه الْمُبَالغَة إشعارا بِأَن الْإِزَار والرداء زور من رَأسه إِلَى قدمه، أَو الْإِعْلَام بِأَن فِي التشبع حالتين مكروهتين: فقدان مَا تشبع بِهِ، وَإِظْهَار الْبَاطِل.

وَقَالَ الْخطابِيّ: هَذَا متأول على وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: أَن الثَّوْب مثل، وَمَعْنَاهُ: المتشبع بِمَا لم يُعْط صَاحب زور وَكذب، كَمَا يُقَال للرجل إِذا وصف بِالْبَرَاءَةِ من الْعُيُوب إِنَّه طَاهِر الثَّوْب نقي الجيب، وَنَحْوه من الْكَلَام، فالثوب فِي ذَلِك مثل، وَالْمرَاد بِهِ نَفسه وطهارتها.

وَالثَّانِي: أَن يُرَاد بِهِ الثَّوْب نفسه، قَالُوا: كَانَ فِي الْحَيّ رجل لَهُ جُبَّة حَسَنَة، فَإِذا احتاجوا إِلَى شَهَادَة الزُّور فَيشْهد لَهُم، فيُقبل لنبله وَحسن ثَوْبه.

وَقَالَ ابْن التِّين: مَعْنَاهُ أَن الْمَرْأَة تلبس ثوب وَدِيعَة أَو عَارِية ليظن النَّاس أَنَّهُمَا لَهَا، فلباسها لَا يَدُوم، وتفتضح بكذبها.

وَقَالَ الدَّاودِيّ: إِنَّمَا كره ذَلِك لِأَنَّهَا تدخل بَين الْمَرْأَة الْأُخْرَى وَزوجهَا الْبغضَاء، فَيصير كالسحر الَّذِي يفرق بَين الْمَرْء وزوجه.

وقَوْله: (بِمَا لم يُعْط) على صِيغَة الْمَجْهُول، وَفِي رِوَايَة: (بِمَا لم يُعْطه) وَفِي التَّرْجَمَة: بِمَا لم ينل، وَقَالَ ابْن الْأَثِير: المتشبع بِمَا لَا يملك، وَالْكل مُتَقَارب فِي الْمَعْنى.[1]

{الذينَ يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ}:

ذم الله الذين يتظاهرون بفعل أمور وهم لم يفعلوها حقيقة، فقال عز وجل:{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران:188)

قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} فيه قولان:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب فرحوا بالاجتماع على تكذيب النبي، صلى الله عليه وسلم، وإخفاء أمره، وأحبوا أن يحمدوا بما ليس فيهم من أنهم أهل نسك وعلم، وهذا قول ابن عباس، والضحاك.

والثاني: أنهم أهل النفاق، فرحوا بقعودهم عن القتال، وأحبواْ أن يحمدوا بما ليس فيهم من الإيمان بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وهذا قول أبي سعيد الخدري، وابن زيد.[2]

{وَيُحِبُّونَ أَن يحْمَدُوا بِمَا لم يَفْعَلُوا} (يَعْنِي) : بالأعذار الكاذبة.[3]

1. عمدة القاري، 20 /204 - 205.
2. تفسير الماوردي، النكت والعيون، 1 /442
3. تفسير السمعاني، 1 /387

وقيل إن في قوله تعالى: {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} ستة أقوال:

أحدها: أحبّوا أن يحمدوا على إجابة النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه.

والثاني: أحبّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وليسوا كذلك.

والثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

والرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين، إذا نصروا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قال الزجاج: إنما كررت «تَحْسَبَنَّهُمْ» لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلاماً أن الذي يجري متصل بالأول، وتوكيدٌ له، فتقول: لا تظنَّ زيداً إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظننَّه صادقاً.[1]

وقوله: {بِمَا أَتَوْا} قال الفراء: بما فعلوا، كما قال تعالى: {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}(مريم: 27)؛ أي: فعلت فعلاً.

وقوله: {بِمَفَازَةٍ} أي: بمنجاة من النار، والمعنى: لا تحسبن هؤلاء أنهم ينجون من العذاب.[2]

---

1. زاد المسير في علم التفسير، 1 /360.

2. التفسير الوسيط للواحدي، 1 /532.

ومن أحب أن يسند إليه بحث علمي لم يُعِدُّه لا يبعد عن هذا الذم، فمطلق لفظ الآية يشمل من تحقق فيه هذا الوصف المذموم: {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} (آل عمران: 188)

ذم الغش والتزوير:

يندرج شراء البحوث العلمية جاهزة وبيعها تحت باب الغش، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[1] وقوله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ غَشَّ) أَيْ خَانَ، وَهُوَ ضِدُّ النُّصْحِ (فَلَيْسَ مِنِّي) أَيْ لَيْسَ هُوَ عَلَى سُنَّتِي وَطَرِيقَتِي.[2]

وكيف لا يكون غشاً، ذاك الفعل التزويري الذي يتيح لأناس التكسب مادياً أو معنوياً بغير ما اكتسبوا حقيقة؟! فهو غش مركب، أو متعدد الجوانب، المفضية للوقوع في براثن كبيرة الزور، ورَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[3]، واللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أثنى على عباده الصالحين الذين لا يشهدون الزور، فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} (الفرقان: 72)، وعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: (الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ)[4]

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ:

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)
2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 5 /1935.
3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.
4. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور.

فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)[1]

وعن سَعِيد بْنَ المُسَيِّبِ، قَالَ: (قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ المَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ، قَدِمَهَا فَخَطَبَنَا، فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمَّاهُ (الزُّورَ) يَعْنِي الوِصَالَ فِي الشَّعَرِ)[2]

إجمال مفاسد ومضار انتحال البحوث والدراسات:

مشكلة انتحال البحوث العلمية والدراسات الفكرية وغيرها تفضي لحدوث مفاسد جمة وكثيرة، على نطاق البحث العلمي نفسه، ومستوى التعليم وثمراته، وعلى أخلاق الباحثين والأكاديميين وقيمهم، فتفقد البحوث الثقة بها، وتكون معرضة للتزييف، ويتخرج للمجتمع الأكاديمي أناس لم يتأهلوا للمراكز التي أسند إليهم إشغالها، ويتخرج من تحت أيدي هؤلاء طلبة لم تتح لهم فرص التعلم المنشود، وبالتالي يعاني الجميع طلبة وأكاديميين ومجتمعاً من هذه الآفة، إضافة إلى أن من مؤشرات الفساد البشعة تولي غير المؤهلين مناصب ومراكز عمل بشهادات وكفاءات مزيفة، وقد يحرم في المقابل أهل الكفاءة والحق من نيل التوظيف الذي سرقه منهم الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، والذين نالوا وظائفهم بالغش والتزوير والاحتيال.

الختم بالحث على تجنب الحرام واتقاء الشبهات:

قد يكون من المفيد ختم الحديث عن موضوع أو مشكلة جريمة إسناد البحوث والدراسات العلمية لغير معدها، بالتذكير بأن التلبس بهكذا خطيئة يوقع بالإثم والعدوان، والله جل في علاه أمر بالتقوى وبالتعاون على البر، ونهى عن التعاون على

1. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور.
2. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

الإثم والعدوان، فقال عز وجل: {... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة:2)، وليس من التقوى ولا من البر بحال من الأحوال، انتحال الأبحاث والشهادات العلمية، ونيل التوظيف الأكاديمي بشهادات زائفة أو أبحاث مختلسة، وإنما هذا هو الإثم بعينه، والجريمة النكراء.

والرسول، صلى الله عليه وسلم، وضح أن الحلال بيّن، والحرام بيّن، وحذر من الوقوع في الشبهات التي تكون بينهما، تجنباً من التعرض للانزلاق في الآثام والذنوب، التي تودي بأصحابها إلى النار، فقال صلى الله عليه وسلم: (الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)(*)

فمطلوب من كل باحث أن يحترم حمى البحث العلمي والدراسة الأكاديمية، حتى يحافظ على حدود الله وحماه فيهما، ويستبرىء لدينه وعرضه وبحثه، ولا يلبس نفسه ثوب زور زائفاً ليس له، فيتشبع بِمَا لَمْ يُعْطَ ، ويكون ممن ذمهم الله لحبهم أن يحمدوا بما لم يفعلوا، ومن الذين يغشون ويزورون، وهم الذين تبرأ الرسول، صلى الله عليه وسلم، منهم، أعاذنا الله من شرهم وويلهم.

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه.

العبادة الشعورية

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

إنّ مفهوم العبادة في الإسلام شاملٌ لكل شؤون الإنسان، لا يخرج منه شيء من تصرفاته، سواء كان التصرف فعلاً أم قولاً أم عملاً قلبياً، فالعبادة شمس لا يغيب شعاعها عن شيء من حياة الفرد، وهو ما يُفهم من قول النّبي، صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(*)، فالخيرية التي وردت في الحديث تشير إلى حالة من الارتباط الذي لا بدّ منه بين العبودية وتصرفات الفرد المسلم كافة، ولا يتعلق الأمر بالسلوك المتمثل بالشكر والصبر فقط، إنّما يشمل الشعور بالفرح والحزن كذلك، فالمسلم مأجور في فرحه، ومأجور في حزنه، كما أنّه مأجور في شكره وصبره، وهذا من عظم الدين الإسلامي، الذي يؤجر فيه الفرد حتى في الأمور الفطرية كالفرح والحزن والغضب.

أهمية الشعور في الإسلام:

وتأتي أهميّة الشعور في الإسلام من كونه باعثاً على السلوك، فإنّ كان السلوك عبادة في الإسلام؛ فإنّ الباعث عليه عبادة كذلك. كما تبرز الأهميّة في كونه يرتبط

* صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بَابُ المُؤمن كله خير

بشكل وثيق بالفطرة البشرية، وإنّ انحراف الشعور عما ينبغي يشير بالضرورة إلى انحراف الفطرة عما ينبغي أن تكون عليه، على خلاف السلوك الذي قد لا يشير إلى ذلك بالضرورة، فلا يُتصور أن يفرح الفرد عند المصيبة، كما لا يُتصور أن يحزن في المسرّات.

من هنا جاء اهتمام علماء المسلمين بالأعمال القلبية التي تشمل الشعور بوصفها عبادة خفية غير ظاهرة لا يعلم عنها أحد، فقد يأثم الإنسان من حيث لا يعلم، ويؤجر من حيث لا يعلم، فقد عرّف ابن تيمية العبادة بأنّها: "اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ" والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح، والأعمال الباطنة: هي أعمال القلوب -الشعور-

تعريف العبادة القلبية والشعورية:

عُرفت كذلك بأنها:"كل ما يتقرب به الإنسان إلى الله، سواءً بالفعل أم القول أم بالعمل القلبي".

وعُرّفت العبادة القلبية بأنها: "العبادات التي تتعلق بقلب الإنسان بشكل مباشر كالاعتقاد وغيره، فهي عبادات تنبعث من القلب، وتنعكس آثارها على الجوارح غالبًا، إلّا أنّها تُنسب إلى القلب؛ لأنّه مستقرها ومكانها، وهي ناشئة منه".

ويمكن القول: إنّ العبادة الشعورية جزء من الأعمال التعبدية الباطنة المرتبطة بالقلب والعقل، فهي: حالة انفعالية داخلية للفرد المسلم تنتج عن منظومة القيم والتوجيهات الشرعية، وتؤثر إيجاباً في سلوكه. ويمكن القول إنّه التأثر والانسياق بالعاطفة المبنية على طريقة تفكير عقدية صحيحة.

نصوص شرعية متضمنة للعبادات الشعورية:

تعدّدت النّصوص الشرعية المتضمنّة للعبادات الشعورية والمؤكدة لأهميتها، ومن ذلك قول النبي، عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(*)

ففي الحديث بيان للتصور النبوي عن ماهية المجتمع الذي يسعى الإسلام إلى بنائه، وعلاقة الأفراد ببعضهم فيه، وعلاقتهم بالأمة. وهي علاقة لا تنحصر في إطار القوانين والتشريعات فقط، بل إنّها تعود في جزء كبير منها إلى الأعمال القلبية والشعور بالآخر، وهي حقيقة يؤكّد عليها نصّ الحديث، حيث يرشد النبي، عليه الصلاة والسلام، الأمة إلى التراحم والحب والعاطفة والودّ، كما يبيّن أنّ شعور أفراد الأمة ببعضهم يجعلهم كالجسد الواحد، وفي ذلك كناية عن شدة الترابط بينهم.

والمتأمل في نصّ الحديث يجد أنّ الرسول، عليه الصلاة والسلام، ربط مجتمع المؤمنين المستحق لهذا الوصف بأدائهم للعبادات الشعورية لا السلوكية، وذلك لأنّ المتعبّد عبادة شعوريةً أول من يبادر، وأسرع من يمتثل؛ وذلك عائد إلى تأثير العبادة الشعورية في السلوك، فإذا كان القلب يقظًا لحال الأمة، ومتلهفًا لمؤازرة إخوانه؛ فإنه أول من ينقاد ويمتثل لأوامر الله بالأفعال والأقوال -إن استطاع ذلك ومَلَك من الأمر شيئًا-.

بينما نجد أن تعبير الفرد المسلم ارتبط بالسلوك في كثير من نصوص السنّة النبوية، فقال عليه الصلاة والسلام: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،

* صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ

وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2]، وحديث: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[3]، فنرى أنّ الأحاديث التي انطوت على وصف الإسلام تتعلق وترتبط بالأقوال والأفعال.

ومن الشواهد على النصوص التي تضمنت العبادة الشعورية قوله عليه الصلاة والسلام: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[4]

حيث يتضمّن الحديث تعبير البنيان الذي يصف علاقة الأفراد في المجتمع الإسلامي ببعضهم، وفي ذلك كناية عن شدّة الترابط بينهم، سواء على الصعيد السلوكي أم الشعوري، فكل فرد من أفراد هذه الأمة مثل اللَّبِنة في بنيان هذه الأمّة، وكل لبنة لها تأثير في اللبنات الأخرى، فسلامة اللبنة شرط لقوة وتماسك اللبنات المجاورة لها وبنيان المجتمع ككل، وفساد اللبنة يؤثر سلباً في البنيان ككل.

أهمية التعبد بالشعور:

من هنا تبرز أهمية التعبّد بالشعور، فهو شرط غاية في الأهمية لضمان سلامة المجتمع الإسلامي وتماسكه. فشعور الفرد بأحوال الآخرين هو ما يجعله يشاركهم

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
2. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، بَاب: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ
3. صحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلَامِ
4. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ

شعوره بالفرح والحزن قبل أن يشاركهم ذلك بسلوكه، الأمر الذي يجلب سلامة الصدر بين الأفراد والرضا عن الذات.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(*).

ويعد هذا الحديث أصلاً في درجات الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فأعلاها هو التغيير باليد، وأدناها الرفض القلبيّ، وكل هذه الدرجات مرتبط بشعور بالحزن لانتهاك حرمات الله والغضب لحدوث ذلك، والأصل أن ينعكس هذا الشعور إلى سلوك فعليّ باليد أو القول؛ للنهي عن هذه الانتهاكات، فإن لم يكن ذلك ممكناً فإنّ أدنى المقبول شرعاً التعبّد بالرفض الشعوريّ لها.

وقد تمّ ربط الخيرية في الأمة وجعلها على قمة الأمم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن المنكر كما وضحه الحديث مرتبط بالإيمان ارتباطًا وثيقًا، فقال عليه الصلاة والسلام: "وذلك أضعف الإيمان"، وبهذا فإننا نستنتج أن المجتمع الإسلامي المثالي، والذي وجهنا كتاب الله وهدي نبيه، صلى الله عليه وسلم، إلى السعي إلى تحقيقه وتكوينه، يحتم علينا الوعي والإدراك بأهمية العبادة الشعورية، وبذل الجهد في تربية النفس على ذلك.

ونجد ذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:175]، حيث تشير الآية إلى أمر إلهي بالخوف منه،

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ.

والنهي عن الخوف من أولياء الشيطان، وهي عبادة شعورية، فالخوف أحد المشاعر الأساسية الستة في علم النّفس. والملاحظ أنّ السياق الذي جاء به الأمر الإلهي يشير إلى أهميّة الحالة الشعورية للمسلم والفرد؛ حيث إنّ الآية تشير إلى الجهد السلوكي الذي بذله الشيطان بتعظيم أمر المشركين في نفوس المسلمين بغية إخافتهم، إلّا أنّ الأمر الإلهي قد حال دون وصول الشيطان إلى مبتغاه، حيث جعل خوف المسلم من الله عبادة شعورية، كما جعل عدم خوفه من غيره عبادة شعورية كذلك.

وكما هو الحال في الحزن والفرح؛ فإنّ الخوف يعدّ أحد المشاعر الستة الأساسية في علم النفس، وإذا ما تتبعنا أحاديث النّبي، صلى الله عليه وسلم، فإنّنا سنجده يوصي بعدم الغضب كما في صحيح البخاري، والسياق يشير إلى أنّ الامتناع عن الغضب انتصاراً للذات يعد عبادة. كذلك فإنّ النصوص النبوية أشارت إلى أنّ الغضب عند انتهاك حرمات الله يعدّ عبادة، ومن ذلك ما روته عائشة، رضي الله عنها، قالت: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللَّهِ، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثَمًا»(*).

حيث يشير الحديث إلى أنّ نبي الله، صلى الله عليه وسلم، لم يكن يغضب لمظلمته، إنّما كان يغضب إذا انتهكت محارم الله، وهي عبادة شعورية كان يفعلها صلى الله عليه وسلم، إذا حصل منكر أمامه، أو علم به. ولا يُفهم من حديث عائشة، رضي الله عنها، أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يكتفي بالغضب، إنّما كان

* مسند الحميدي، أَحَادِيثُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الألباني: صحيح.

الغضب مصاحباً لإنكاره انتهاك حرمات الله بيده أو لسانه. علماً بأنّ الغضب أحد المشاعر الستة الأساسية في علم النفس.

كذلك فإنّ من النصوص التي أشارت إلى أهمّية الشعور قوله عليه الصلاة والسلام: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(*).

حيث يبين النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذا الحديث الجليل -الذي قيل فيه: إنه ربع الإسلام- أنه لا يتحقق الإيمان الكامل لأحد من المسلمين -والنفي هنا لا يقصد به نفي أصل الإيمان، وإنما نفي الكمال- حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الطاعات وأنواع الخيرات في الدين والدنيا، ويكره له ما يكره لنفسه، فلا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يَرضى للناس ما يرضاه لنفسه، وهذا إنَّما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فالإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير.

وسواء أكان الحبّ شعوراً أم التزاماً سلوكياً ناتجاً عن شعور؛ فإنّ الحديث يبيّن أهمّية العبادة الشعورية بربط تمام الإيمان بها كشرط ضروري.

تطبيقات واقعية للعبادة الشعورية:

في ضوء ما سبق بيانه من أهمية العبادة الشعورية؛ فإنّه يمكن القول أنّ للعبادة الشعورية مجموعة من التطبيقات في واقعنا، ومن ذلك:

1. ليس من خُلق المؤمن أن يفرح ويظهر فرحه وغيره في حزن ولوعة فَقْد، فلا يصح للمؤمن أن يقيم الولائم لزفافه أو لمولوده أو لنجاحه، ويسعد ويظهر ذلك، بينما

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

جاره يمر بحزن يعلمه، سواء بسبب فَقْدٍ أم مرض أم مصيبة.

2. ولا أن يشبع أمام الجياع، ويأكل في الأسواق والطرقات، أو ينشر ولائمه على الصفحات، وهو لا يعلم حال غيره من الأهل والأصدقاء والمارّة المتعففين عن الشكوى والسؤال. ولذلك كره أهل العلم مجاهرة إفطار من له عذر أمام الصائمين؛ لأنّ في ذلك اعتداء وتجاوزاً، وعدم مراعاة لمشاعر الصائمين.

3. ولا يصح للمؤمن الشاب أو من رزقه الله بالعافية أن يزاحم ويسرع بمشيته يتخطى بها، ويسبق من غلبته صحته من مرضى وعجائز وأطفال، ويتأفف قُصر خطواتهم ويشعرهم بعجزهم.

4. ولا يذكر المؤمن محاسن ما يملك من نعمٍ ورزقٍ وعافية أمام فاقدها، ولو كان أمرًا من الشائع ذكره، وذلك رأفة بقلبه، فالفاقد يكون حذرًا ومنتبهًا بشأن ما لا يملك، وقد يؤذيه من حيث لا تدري.

5. وإنكار المنكر -ولو كان بعيدًا- في أحد بلاد المسلمين، وإنكاره بالقلب -على الأقل- حين يتعذر إصلاحه هو عبادة شعورية.

6. والدعاء لمن تعذرت عليك نصرتهم وسد حاجاتهم وإعانتهم عبادة.

7. وحب الخير للمسلمين كافة، وذكرهم بمجمل الدعاء عبادة.

8. وفي الحرب والأزمات والشدائد والبلايا التي تمر على الأمة، فإن التحرّق ألمًا والبكاء والتضرع والتوبة وسؤال الله ألا يؤاخذهم بما اقترفت من ذنب، وكتم ما يصيبك من فرح رأفةً بأتراح الأمة، فإنه عين العبادة الشعورية، وفي هذه الشدائد يتجلى ويظهر من كان جزء من الأمة يهمه ما همها، ومن كان بوقًا يقول ولا يفعل.

ثمرة العبادة الشعورية:

فالأثر المترتب على هذه العبادة جلي في أحاديث عدة، منها:

قال عليه الصلاة والسلام، لما سأله النواسُ بن سمعان عن البرِّ والإثم، قال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[1] .

فالإثم مرهونٌ بما يخالج القلب من مشاعر يعجز الناس عن الاطلاع عليها، وهذا في معناه مقصود العبادة الشعورية.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»[2] فالأجر هنا لم يكن نتاج فعل أو قول، إنما هذا الأجر جزاء ما وقر بالقلب من عبادة شعورية.

إذن فإنّ أثر هذه العبادة وثمرتها يترتب عليه، إما الوزر وإما الأجر، وعلى هذا الأساس تُبنى أفعال المؤمن وتتحرك مقاصده، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ
2. صحيح مسلم كتاب الإيمان، بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ.

قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»(*)

ومن هذه الأحاديث يظهر أثر إدراك أهمية العبادة الشعورية على تصرفات الفرد المسلم، وكيف أنها تعيد ترتيب أولوياته، فتجعله يكون يقظًا لما يبالي من أوجاع الأمة وهمومها، وما لا يبالي به، فهو يدرك أن لا مبالاته هذه بمصائب المسلمين هي إثم يترتب عليه، فلا يترك نفسه لهواه، أو وسوسة الشيطان المحبطة التي تعده الفقر وتخبره أن دموعه بلا فائدة للأمة، وتزرع فيه اليأس من الدعاء، وما وقر في القلب من حزن وهم للمسلمين، أو ما ساد بين عامة الناس من تسخيف للحزن في ظل عجزهم عن إبداء رد فعل حقيقي ينصر إخوانهم المسلمين.

في النهاية؛ فإن العبادة الشعورية من أكثر ما يجب أن يولي الدعاة اهتمامًا إليه، وزرعه في نفوس الصغار والكبار والاستمرار بتذكيرهم بعدم الاعتياد على رؤية دماء المسلمين تسفك، وعدم الرضا بالتأخر في صفوف الصالحين فقط؛ لأنهم لم يحسنوا التعاطف والتضامن مع إخوانهم.

* المعجم الأوسط للطبراني، باب الميم، من اسمه: محمد وقال الألباني: حسن لغيره

شهداء الآخرة

الشيخ د. أحمد خالد شوباش / مفتي محافظة نابلس / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد منّ الله سبحانه على طوائف من خلقه، بأن اختارهم لمنازل عليا ومهمات جليلة، نالوا بها شرف المنزلة العظيمة في الدنيا، وفازوا برضوان الله وجنته في الآخرة، وأرفع تلك المنازل منزلة النبوة والرسالة، التي اصطفى الله إليها بعض خلقه، فقال سبحانه: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}(الحج: 75)، وأكرم الله قوماً من خلقه بالشهادة، فقال سبحانه: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}(آل عمران: 140)، واختار سبحانه لبيت المقدس عباداً يرابطون فيها، وبعث بعضهم لدفع الإفساد عنها، فقال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا} (الإسراء: 5)، فالاصطفاء والاتخاذ والبعث معانٍ متقاربة تدل على الاختيار والإرسال بإرادة المولى وفضله سبحانه.

ولقد حصر النص القرآني المطيعين من أهل السبق إلى الخير من الذين أنعم الله عليهم في الدنيا والآخرة بأربع فئات، فقال سبحانه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء: 69)، أما النبوة فقد ختمت بسيد ولد آدم محمد، صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (الأحزاب: 40)، والصدّيقون هم الذين صدّقوا الأنبياء ابتداء، مثل الحواريين والسابقين الأولين من المؤمنين، كأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ومريم، عليها السلام، إذا قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} (المائدة: 75)، وأما الشهداء فهم من قتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله، والصالحون الذين لزمتهم الاستقامة.[1]

ولأن الصدّيقين هم الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وقاموا به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله[2]، ومرتبتهم صعبة المنال، وهي أعلى المراتب بعد النبوة، يتعذر بلوغها أو يصعب في هذا الزمان، لكنها متاحة لمن جاهد نفسه، وبلغها بالعمل بأوصافها، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}(الحديد: 19)، غير أن منزلة الشهادة في زماننا ووفق ما ذكرنا في المقدمة هي أعلى المنازل التي يمكن للعبد أن ينالها إذا وفقه الله لها وأكرمه بها واختاره لها.

1. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 5 /116، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
2. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 185، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

أصناف ليسوا من شهداء الآخرة، وإن كانوا في نظر الناس شهداء:

لا تتم عبادة ولا تكتمل، بل لا تصح طاعة ولا تقبل إلا بشرطين؛ الأول: إخلاص النية لله تعالى، والثاني: موافقة الكتاب والسنة ومتابعة النبي، صلى الله عليه وسلم. أما فقد الإخلاص وإرادة وجه الناس من دون الله، فإنها تجعل خير الأعمال سبباً لدخول النار، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)[*]

وإلى جانب تجنب الرياء والحرص على موافقة العمل للهدي النبوي ومتابعة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأن يكون الهدف إعلاء كلمة الله تعالى، فعن أبي موسى الأشعري: (أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

* صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»"[1] وفي رواية عن أبي موسى قال: "سُئِلَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2] " وفي ثالثة: " الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»"[3]

فالذي يقاتل للذكر أي ليذكره الناس بالشجاعة، وحميّة: هي الأنفة والغيرة والمحاماة عن العشيرة، وكذلك لطلب الغنيمة أو الغضب لغير الله، وكل عرض من أعراض الدنيا الزائلة.

كذلك لا يقبل عمل العبد المخالف للهدي النبوي، وينقلب به إلى الرد، وقد يكون سبباً لدخوله النار، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: "شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَى النَّارِ»، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.
2. التخريج نفسه.
3. التخريج نفسه.

عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»"[1].

ويلحق بهم من غلّ في الغنيمة أو قتل مدبراً [2]، فهذه الأصناف التي افتقرت إلى الإخلاص، أو متابعة الهدي النبوي، وإن عدّها الناس في الدنيا من الشهداء، حتى لو أخذوا بعض أحكام الشهادة من عدم تغسيلهم أو الصلاة عليهم، إلا أنه ليس لهم ثواب الشهداء في الآخرة، بل قد يعذبون في النار.

شهداء الدنيا والآخرة:

إذا وافق العبد شروط قبول الطاعة والعبادة من الإخلاص ومتابعة النبي، صلى الله عليه وسلم، كان من شهداء الدنيا والآخرة، وأعلى هؤلاء منزلة شهداء الصحابة، رضي الله عنهم، ومن بعدهم، ومن قتله أعداء الإسلام والمسلمين، وسيدهم حمزة، رضي الله عنه، فعن جابر، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ)[3]

وفي فضل الشهادة قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من يقتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، 1 /105.
2. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /63.
3. ابن البيّع، المستدرك على الصحيحين، 3 /215، قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}(آل عمران: 169 - 170)، وقد نزلت في والد جابر بن عبد الله، يقول: (لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟» وَقَالَ: يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا "، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ، بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قَالَ: بَلَى: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: 169)(*)، وقال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} (البقرة: 154).

وهؤلاء الشهداء أعد الله لهم ثواباً كبيراً في الدنيا والآخرة، ومنحهم خصالاً متميزة، فعن المقداد بن معدي كرب الكندي قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،

* سنن ابن ماجة، كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، 1 /131، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، قال المحقق: إسناده جيد، وفي الهامش: قوله كفاحاً: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ"[1]

وعن كعب بن مالك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ)[2]، وفي رواية عن مسروق قال: سألت عبد الله عن هذه الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}(آل عمران: 169)، قال: (أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: "هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا".[3]

وإذا كان الباعث إعلاء كلمة الله وفي سبيله، فإن دفاع المسلم عن نفسه وأرضه وعرضه يدخل في هذا الباعث، فعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، قال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»"[4]

وعن سعد بن زيد قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ

1. مسند أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب الكندي أبي كريمة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، 28/419، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، قال المحقق: رجاله ثقات، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.
2. سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء، أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.
3. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، 3 /1502.
4. صحيح البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، 3 /136.

فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[1]

غير أن عناصر هذا الصنف ليس على درجة واحدة، بل إنهم متفاوتون في العمل والأجر، فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ "[2].

وعلى الرغم من مكانة هذا الصنف المتميزة، فإن الله لا يغفر لهم حقوق العباد وأموالهم وديونهم، وإن كانت تغفر لهم حقوق الله تعالى، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ) وفي رواية عنه: (الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدَّيْنَ)[3]، قال النووي: "إلا الدين ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى"[4]

1. سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، 7 /116، صححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي 4 /16.
3. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، 3/1502، برقم 119، 120.
4. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13/29.

شهداء الآخرة:

دلت نصوص السنة النبوية على أن هناك مجموعة من الناس لم يقضوا على أيدي الأعداء، بل ماتوا إما بأمراض أو حوادث عرضت لهم، وألحقتهم تلك النصوص بالشهداء، واتفق العلماء على أنهم ليسوا من شهداء الدنيا، فهم يغسلون ويصلى عليهم، ولكنهم في الآخرة شهداء، وإن كانوا دون الشهداء الذين قضوا على أيدي الأعداء أو في المعارك.

ومن هؤلاء، ما ورد في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[1]، وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)[2]، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ"[3]

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (عَادَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَمَا تَحَوَّزَ لَهُ عَنْ فِرَاشِهِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟ قَالُوا: قَتْلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَتْلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ،

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل، 4 /24، والمطعون الذي مات بداء الطاعون، والمبطون الذي مات بسب علة في بطنه، والغَرِق الذي غلبه الماء فمات، وصاحب الهدم الذي انهدم عليه بناء فمات، من تعليقات المحقق مصطفى البغا في الهامش.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل.
3. مسند أحمد، أحاديث رجال من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حديث جابر بن عتيك 39 /163، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وذات الجنب التهاب في الغشاء المحيط بالرئة، والمرأة تموت بجُمع أي في النفاس أو تموت من الولادة، هامش المسند، من تعليقات المحقق.

وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعَا).[1]

ويظهر أن شدة الابتلاء والألم الذي لحق هؤلاء، جعلهم في مقام الشهداء يوم القيامة، يقول النووي: "قال العلماء: وإن كانت هذه الموتات شهادة بتفضل الله تعالى؛ بسبب شدتها وكثرة ألمها"[2]

وذكر هذه الأصناف لم يقصد منها الحصر، وإنما هو إعلام بحالات ثم ذكرت حالات زيادة على ذلك، وفي نظر ابن حجر، فقد اجتمعت من هذه الأصناف أكثر من عشرين خصلة ثبتت بطرق جيدة، منه الحريق، وصاحب ذات الجنب، والمرأة تموت بجمع، والمبطون والمطعون والغريق، وصاحب الهدم، ومن قتل دون دينه أو أهله أو عرضه أو ماله أو مظلمته أو دمه - في غير أرض المعركة - ومن ينكب في سبيل الله، ومن وقصه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتفٍ كان، ومن مات مرابطاً، والذي يفترسه السبع، والخارّ عن دابته، والشريق.[3]

وعلى الرغم من أن هذه الميتات فيها شدة تفضل على أمة محمد لشدة ألمها كما قال العلماء، فإن الألم الذي يحصل بشهادة القتل في سبيل الله لا يكاد يذكر في إحساس الشهيد، وإن كان الأحياء يتألمون خاصة عند حصول الحرق وتناثُر الأشلاء، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ)[4]

1. مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عبادة بن الصامت، 29 /333، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
2. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 13 /63.
3. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 6 /43 - 44، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ
4. سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، 3 /242، قال الألباني: حسن صحيح.

اللاحقون بالشهداء:

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ) وفي رواية أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)[1]

ويمكن أن يكون في مقدمة هؤلاء سيف الله خالد بن الوليد، رضي الله عنه، الذي أطلق عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا الاسم، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)[2]

وقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ)[3]، وعن أبي بكر، رضي الله عنه، أنه عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، وقال إني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (نِعْمَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ).[4]

1. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، 3 /1517، حديث رقم 156، 157.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم .
3. مسند أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث يزيد بن العوام، 28/27، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.
4. مسند أحمد بن حنبل، مسند الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، 1 /216، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده.

ولعل تسمية خالد، رضي الله عنه، بهذا الاسم الموافق لفعله وحقيقة صنعه، كان وراء عدم انكسار هذا السيف في المواقع المتعددة، التي خاضها أو شهدها مع أنه أصيب بعشرات الإصابات، فعن أبي الزناد: " أن خالد بن الوليد لما احتضر بكى، وقال: لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"[1]

احتساب الشهداء وعدم جزم الناس بمصيرهم:

جزم الناس بمكانة الشهيد تتطلب دليلاً شرعياً من كتاب الله أو سنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، كما نقول حمزة شهيد، للحديث المذكور سيد الشهداء حمزة، وعمر وعثمان شهيدان، لما ورد عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، حدثهم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: (اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَان)[2]، أي لما اضطرب جبل أحد، خاطبه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأمره بالثبات احتراماً له ومن معه من الصحابة، رضي الله عنهم، وهم الصدّيق أبو بكر وعمر وعثمان، اللذان قضيا شهيدين لاحقاً، وهذه معجزة للنبي، صلى الله عليه وسلم.

1. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1 /382، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ 1985م. والعَيْر: الحمار الوحشي إذا سمن وقوي. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 6 /108، دار الهداية.
2. صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً.

وإذا لم يرد دليل من الكتاب أو السنة في شهيد معين، فإنا لا نقول فلان شهيد، بل نقول نحتسبه شهيداً والله حسبنا، أو نحتسبه شهيداً ولا نزكي على الله أحداً.

وقد عنون البخاري في أحد الأبواب: باب لا يقول فلان شهيد، قال أبو هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ)(*)

وفي نهاية المطاف؛ فإننا نكون قد اطلعنا على أن الشهادة اختيار واصطفاء من الله، وأنها من أعلى منازل المؤمن في هذا الزمان، وأن الشهداء ثلاثة؛ شهيد في الدنيا ولا أجر له في الآخرة، وشهيد في الدنيا والآخرة، وشهيد في الآخرة وإن كان رَحَل عن الدنيا كباقي الأموات، كما أن الله يمن على متمني الشهادة بصدق بإلحاقه بالشهداء، وأن الشهيد هو من كان في علم الله شهيد، وليس في نظر الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين

* صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد.

حكم تغيير النية في الصلاة، وقطع الصلاة للالتحاق بصلاة الجماعة

أ. شريف مفارجة / باحث شرعي - دار الإفتاء الفلسطينية

ينبغي للعبد أن يتعلم أمور دينه، وخاصة العبادات، حتى يؤديها على خير وجه، وتقبل منه عند الله تعالى، ويثاب عليها في الآخرة، وترفع درجاته ومقامه في الجنة، وأهم العبادات وأعلاها قدراً الصلاة، التي فرضت في السماء دون غيرها، ويتوقف على الصلاة صلاح باقي الأعمال، وهي أول ما يحاسب عليها المرء يوم القيامة، لذلك يجب على كل مسلم مكلف أن يتعلم أساسيات عبادة الصلاة، كالنية، وأحكام الطهارة، وأحكام الصلاة، وهكذا؛ لأن هذه الأمور يتوقف عليها قبول العمل أو رده، فلا بد أن تأتي على الوجه الصحيح المجزئ، حتى لا يحاسب الإنسان عليها يوم القيامة بسبب التقصير والجهل، وفيما يأتي عرض لمسألتين من مسائل الصلاة:

المسألة الأولى: حكم تغيير النية في الصلاة

الأصل أن على المسلم متى دخل في عبادة، كالصلاة وغيرها بنية؛ أن يكمِّلها، إلا إذا وجدت مصلحة شرعية تستدعي تغيير النية، فعند ذلك يغيرها إلى ما تصح من العبادات وتقبل، وتغيير النية خلال الصلاة له أقسام:

الأول: الانتقال بالنية من فرض إلى فرض آخر، أو إلى نفل معين، أو من النفل إلى فرض، مثل تغيير النية من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، أو من صلاة الفجر إلى سنة الفجر الراتبة، أو العكس، فبهذا تبطل الصلاة من أصلها عند بعض الفقهاء كالشافعية والمالكية، إلا إذا كان ذلك سهواً، وتنقلب نفلاً عند آخرين كالحنابلة، ولا تبطل عند الأحناف، ولا تتغير، بل تبقى كما نواها قبل التغيير ما لم يُكَبر بنية مغايرة، بأن يكبر ناوياً النفل بعد الشروع في الفرض أو عكسه.[1]

الثاني: الانتقال من نفل معيّن إلى نفل معيَّن آخر، فلا يصح ذلك، مثل الذي يريد أن ينتقل من سنة الضحى إلى راتبة الفجر التي لم يقضها، ويذكر الإمام النووي، رحمه الله: عن الماوَرْدِيُّ قوله: "نقلُ الصلاةِ إلى صلاةٍ أقسامٌ: أحدُها: نقلُ فرضٍ إلى فرض: فلا يحصلُ واحدٌ منهما، الثاني: نقلُ نفلٍ راتبٍ إلى نفلٍ راتبٍ؛ كَوِتْرٍ إلى سنةِ الفجر فلا يحصلُ واحدٌ منهما، الثالث: نقلُ نفلٍ إلى فرضٍ فلا يحصل واحدٌ منهما".[2]

الثالث: الانتقال من فرض أو نفل معين إلى نفل مطلق، فيصح ذلك، ولكن يكره إلا لمصلحة شرعية تستدعيه، مثل إذا تبيَّن للمصلي خلال صلاة الفريضة أنه يصلي قبل دخول وقتها، فهذه تنقلب نفلًا، فيقلبها إلى نافلة مطلقة.

وقد اختصر الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله، الكلام عن هذه المسألة بالقاعدة الآتية: "من معين لمعين: لا يصح، ومن مطلق لمعين: لا يصح، ومن معين لمطلق: يصح".[3]

1. الموسوعة الفقهية الكويتية: 10 /297 - 298.
2. المجموع شرح المهذب، للنووي: 4 /211.
3. مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين: 12/ السؤال رقم: 347.

المسألة الثانية: قطع الصلاة للالتحاق بصلاة الجماعة

فإذا كان المرء يصلي الفريضة منفرداً، وجاءت جماعة لتصلي هذه الفريضة وهو يصلي فيها، ففي هذه الحالة بإمكانه أن يغير نية الفريضة ويتمها نفلاً حتى يدرك صلاة الجماعة، وهذا هو الأفضل، إلا إذا خشي فوات الجماعة، فبإمكانه قطع صلاته لتحصيل ثواب الجماعة، قال ابن العثيمين، رحمه الله: "فإن قيل: هل قلبُ الفرض إلى نفل، مستحب أو مكروه؟ أم مستوي الطرفين؟ فالجواب: أنه مستحب في بعض الصور، وذلك فيما إذا شرع في الفريضة منفرداً ثم حضر جماعة، ففي هذه الحال هو بين أمور ثلاثة: إما أن يستمر في صلاته يؤديها فريضة منفرداً، ولا يصلي مع الجماعة الذين حضروا، وإما أن يقطعها ويصلي مع الجماعة، وإما أن يقلبها نفلاً فيكمل ركعتين، وإن كان صلى ركعتين وهو في التشهد الأول فإنه يتمه ويسلم، ويحصل على نافلة، ثم يدخل مع الجماعة، فهنا الانتقال من الفرض إلى النفل مستحب من أجل تحصيل الجماعة، مع إتمام الصلاة نفلاً، فإن خاف أن تفوته الجماعة فالأفضل أن يقطعها من أجل أن يدرك الجماعة".[*]

ولا يجوز قطع الفريضة بلا عذر، وإنما الجائز هو قطعها عند الحاجة والمصلحة الشرعية للانتقال إلى ما هو أفضل، بل هذا هو الأولى؛ لأن الصلاة في جماعة واجبة على الأعيان حسب أقوال بعض أهل العلم، فقد جاء في الروض مع حاشيته: فيحرم خروجه من الفرض بلا عذر. قال المجد وغيره: لا نعلم فيه خلافًا. وقال في الفروع:

* الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: 2 /301 - 302.

من دخل في واجب موسع، كقضاء رمضان، والمكتوبة أول وقتها، وغير ذلك، كنذر مطلق، وكفارة - إن قلنا: يجوز تأخيرها - حرم خروجه منها بلا عذر وفاقًا.[1]

وعند العذر والمصلحة الشرعية يصح الخروج من صلاة الفريضة بالتسليم، لما في صحيح مسلم في قصة الرجل الذي فارق معاذاً حين أطال في الصلاة، وأنه انحرف ناحية ثم سلم، ولم ينكر عليه النبي، عليه الصلاة والسلام، ما فعله، فعن جابر قال: (كَانَ مُعَاذٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلَانُ؟، قَالَ: لَا وَاللهِ، وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَأُخْبِرَنَّهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا، قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، فَقَالَ عَمْرٌو نَحْوَ هَذَا)[2]، وكذلك يصح له الخروج بغير التسليم.

1. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي: 3 /465.
2. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء.

وكذلك من باب أولى للمصلي أن يقطع صلاة النافلة إذا أقيمت صلاة الجماعة، وإذا قطع النافلة فإنه يقطعها من غير تسليم على قول أهل العلم، وإن لم يخشَ فوات صلاة الجماعة فلا حرج عليه في إتمام النافلة ثم الدخول في صلاة الجماعة على قول بعض أهل العلم، وإن كان الأولى قطع النافلة للحديث الشريف الذي استدل به على ذلك أكثر أهل العلم: (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ)[1]، قال ابن قدامة، رحمه الله: (وإذا أقيمت الصلاة، لم يشتغل عنها بنافلة، سواء خشي فوات الركعة الأولى أم لم يخش، وبهذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وعروة، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور)[2]، ونقل عن الشيخ أبي حامد من الشافعية: أن الأفضل خروجه من النافلة إذا أداه إتمامها إلى فوات فضيلة التحريم[3].

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، ويتقبل منا الطاعات، ويتجاوز عن الأخطاء والهفوات، وينعم علينا من الخيرات والبركات، والنصر والأمن والاستقرار والسعادة، ويزيل عنا البلاء والوباء والشرور، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين

1. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن.
2. المغني: 1 /272.
3. كلام العراقي نقله الشوكاني في نيل الأوطار: 3 /91.

الاختلاف:

مفهومه، وأدبه، وأنواعه

أ. روان عمر شيخ / باحثة شرعية / دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً، صلى الله عليه وسلم، عبده ورسوله، وبعد؛

فإنّ الاختلاف في وجهات النظر يجب أن يكون ظاهرة صحية؛ يؤدي إلى خصوبةٍ في الرأي، واطلاع على عدد من وجهات النظر، ورؤية للأمور من أبعادٍ وزوايا مختلفة، وإضافة عقول إلى عقل، والبعد عن آدابه؛ يؤدي إلى التفكك والتعصب ومجانبة الحقّ والصواب، لذا على المسلم مراعاة أدب الاختلاف، واحتواء الرأي الآخر وإن خالفه، فما الاختلاف؟ وما آدابه؟ وما أنواعه؟ وما المقبول منه والمرفوض؟

أولاً- مفهوم الاختلاف:

الاختلاف لغة: أصل المادة (خ ل ف)، والخِلْفَةُ، بالكسرِ: الاسم من الاخْتِلافِ، أو مصدر الاخْتِلافِ، أي: التَّرَدُّدِ، رجُلٌ خالِفَةٌ: كثيرُ الخِلافِ، واخْتَلَفَ: ضِدُّ اتَّفَقَ، تخالف الأمران واختلافا: لم يتفقا، واختلف القوم: إذا ذهب كل واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.(*)

* ابن منظور، لسان العرب: 3 /353. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص807 - 808. الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: 23 /251.

الاختلاف اصطلاحاً: والاختلاف بالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن معانيه اللغوية، من حيث إنه يشير إلى التضاد وعدم الاتفاق، تعريفاته: تعريف الراغب الأصفهاني: "أن الاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله"[1]، وعرّفه المناوي: "بأنه افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه"[2]، ويطلق الاختلاف في المسائل الشرعية على المسائل التي لم يجمع عليها، فالاختلاف ضد الإجماع الذي يعني الاتفاق في عصر من الأعصار على حكم نازلة.[3]

ثانياً - آداب الاختلاف:

اختلف الصحابة والتابعون وكبار الأئمة في كثير من المسائل الاجتهادية، فجعلوا، رضوان الله عنهم، من أدب الخلاف طريقهم، واتصفوا بجملة من الآداب منها:

1 - الرجوع إلى الحقّ عند تبيُّن ذلك وثبوته، ومثال ذلك: قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في كتابه لأبي موسى الأشعري: "ولا يمنعنك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحقّ، فإنّ الحقّ قديم، ولا يبطل الحقّ شيء، وإنّ مراجعة الحقّ خير من التمادي في الباطل".[4]

2 - التواضع وقبول الرأي المخالف، واحترامه ومثال ذلك: كان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة[5]، فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدّم ولم يتوضأ، هل يصلى خلفه؟ فقال: "كيف لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد

1. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ص294.
2. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: ص41.
3. السمعاني، أبو قواطع الأدلة في الأصول: 1 /461.
4. ابن شبة، تاريخ المدينة: 2 /775.
5. ابن تيمية، شرح العمدة في الفقه: ص271.

بن المسيب" [1]، إشارة منه إلى مذهبهما في عدم نقض الوضوء بخروج الدم[2]، ومنه قول الإمام الشافعي: "ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة".[3]

3 - عدم التعصب للأشخاص أو المذاهب، ومنه رفض الإمام مالك طلب المأمون حمل النّاس على الموطأ، وهو كتابه واختياره في الفقه والحديث[4]، ومنه أيضاً: قول الإمام النووي: "ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه، إذا لم يخالف نصاً، أو إجماعاً، أو قياساً جلياً"[5]، ومن أكبر الأمثلة على نبذ التعصب تدارس العلماء فيما بينهم، فقد رحل الإمام الشافعي إلى المدينة ليأخذ الموطأ عن الإمام مالك فلازمه، وقال له الإمام مالك أن يتقي الله فإنّه سيكون له شأن، وروى الشافعي عن صاحب أبي حنيفة محمد الشيباني، وأخذ الإمام أحمد عن الإمام الشافعي[6].

4 - إحسان الظنّ بالعلماء، وأن لا يعتقد أنّه ترك الحقّ متعمداً، ومنه قول الإمام ابن تيمية عندما تحدث عن معذرة من أخطأ بعد بذله الوسع في اجتهاده: "وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنّه بدعة؛ إما لأحاديث ضعيفة ظنّوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرِدْ منها، وإما لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم"[7].

---

1. المروزي، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: 2 /407. العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام: ص116.
2. مالك، ابن أنس، المدونة: 1 /126.
3. الذهبي، سير أعلام النبلاء: 8 /240.
4. ابن عساكر، تاريخ دمشق: 32 /356.
5. البيهقي، مناقب الشافعي: 2 /311. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 2 /24. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية: 1 /55.
6. النووي، المجموع شرح المهذب: 1 /8.
7. ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 1 /191.

5 - الابتعاد عن الغلّ والحقد، ومن الشواهد على ذلك ما قاله عمار بن ياسر عندما سمع أحداً تناول السيدة عائشة، رضي الله عنها: "اسكت مقبوحاً منبوحاً، أتقع في حبيبة رسول الله؟ إنّها لزوجته في الجنّة"، فلم يرض تناول السيدة عائشة على الرغم من الخلاف الذي كان بينهما في يوم الجمل.[1]

6 - مجادلة المخالف بالقول اللين والحسنى، قال الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} (البقرة: 83) : "وهذا كله حضّ على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للنّاس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البرّ والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظنّ أنّه يرضي مذهبه".[2]

ثالثاً: أنواع الاختلاف:

يقسم الاختلاف إلى قسمين: الأول: اختلاف التضاد: وقد يكون اختلافاً سائغاً (محموداً) وغير سائغ (مذموماً)، والثاني: اختلاف التنوع، ولقد أشار إلى ذلك ابن القيم -رحمه الله- فذكر أنّ الاختلاف منه: محمود جائز ممدوح أهله، وهو ما كان سببه الحرص على الوصول إلى الحقّ، واختلاف محرم مذموم صاحبه، وهو ما كان الباعث عليه الهوى.[3]

ويعرّف اختلاف التنوع أنّه: كل خلاف في مسألة ليس فيها دليل صحيح، من القرآن أو السُّنَّة الصَّحيحة أو الإجماع أو القياس الجلي، ويدخل في هذا التعريف اختلاف

1. ابن سعد، الطبقات الكبرى: 8 /52.
2. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: 2 /16.
3. ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: 2 /519. العصيمي، الخلاف أنواعه وضوابطه، وكيفية التعامل معه: ص 25 - 27.

التضاد المحمود، ويعرّف الاختلاف المذموم أنّه: الخلاف الذي لا يعتد به، ولا يصح أن يخرق إجماعاً، أو أن يكون سبباً في التفرقة بين المسلمين.[1]

ومن أسباب الاختلاف المحمود ما يأتي:

1 - **عدم بلوغ النص**: فالفقيه قد تعرض له نازلة لا يحفظ فيها نصاً، فيحكم بنص آخر قد لا يساويه في القوة، أو بقياس، فإذا بلغه النص رجع عنه، وكثير من اختلافات الصحابة والتابعين مبعثها عدم علم بعضهم بالنص، ومثال ذلك: أنّ أبا هريرة كان يفتي في النّاس أنّ من أصبح جنباً فلا صوم له، فلما أخبرته بعض أزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، خلاف ذلك رجع عنه.[2]

2 - **رجوع الفقهاء إلى الاجتهاد بصوره كافّة**: من أمثلة ذلك اجتهادهم بالقياس والاستصحاب والمصلحة والاستحسان وغيرها من المصادر المعتبرة، فهي من أسباب اختلافهم في الأحكام الجزئية، فقد يختلفون في بعض المحال؛ هل تجري فيها هذه المصادر أم لا؟[3]

3 - **تفاوت العلماء في العقول، والفهم والقدر في تحصيل العلم**: وهذا التفاوت كما يقع بين كبار المجتهدين فإنّه يقع بين صغار المجتهدين، وكلما كان الفقيه أكثر إحاطة بالنصوص والأدلة كان أقرب إلى الصواب، ومثال التفاوت في الفهم: ما رواه البخاري عندما سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الشجرة التي لا يسقط ورقها

1. الروكي، نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء: ص 223 - 231.
2. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.
3. الروكي، نظرية التقعيد الفقهي: ص 250 - 251.

وهي كالمسلم، فاختلف الصحابة فيما هي، وعرفها ابن عمر، لكنّه لم يقلها استحياء؛ لأنّه كان أصغر القوم.[1]

4 - **اختلافهم في دلالات النصوص، واشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة، واختلافهم في النصوص ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت والدلالة، واختلافهم في الحقيقة والمجاز، واحتمال النص للخصوص والعموم، والاختلاف في النسخ وغيرها مما يتعلق بالنص:** ومن الكتب التي أحاطت بهذه المسائل كتاب: "أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء" لمصطفى سعيد الخن.

من أنواع الاختلاف المذموم ما يأتي:

1 - **الخلاف الواقع بسبب النزوع إلى الهوى:** ومنه تتبع رخص المذاهب لغرض التشهي، وأغراض شخصية؛ من صداقة، أو قرابة، أو تملق من غير دليل ولا اجتهاد.[2]

2 - **الخلاف في المسائل التي لا مجال للاجتهاد فيها:** وهي تقع بسبب مخالفة دليل قاطع، أو أصل من الأصول المقطوع بها في الشريعة، مثل القول بحلّ زواج المتعة تفسيراً لقوله تعالى: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} (النساء: 24)، فالقول بذلك مخالف لصريح النصوص، قال صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا)[3]،

1. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا.
2. الشاطبي، الموافقات: 5 /91.
3. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، وبيان أنه أبيح، ثم نسخ، ثم أبيح، ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

ومخالف لما أجمع عليه العلماء، وروي عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنّه قال بها، ولكن ثبت تراجعه عن فتوى حلّها.[1]

3 - **اختلاف أهل البدع والأهواء**: كالتفسيرات الإشارية[2]، لبعض آيات القرآن الكريم، ومثال ذلك تفسيره قوله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}(الحديد: 7)، أنّه إشارة للمشايخ الكاملين إلى تربية المريدين، بإفاضة ما يقوي استعدادهم، ما جعلهم الله تعالى متمكنين فيه من الأحوال والملكات[3]، وتفسير الشيعة لقوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} (الرحمن: 22)، أنهما الحسن والحسين، وهذا من التأويلات البعيدة التي لا يعتد بها.[4]

4 - **الاختلاف الواقع بسبب الجهل بطرق الاستنباط، وفقدان أهلية الاجتهاد**: ويكون ذلك بأن يجلس للإفتاء والاجتهاد من ليس بأهله، وهؤلاء لا يعتد بأقوالهم ولا يُؤخذ بها.[5]

1. الشوكاني، نيل الأوطار: 6 /161 - 162.
2. كتفسير من يزعم أنه يرى معنى آخر غير المعنى الظاهر، من مضامين الآيات، انظر: الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: 2/89.
3. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 14 /194.
4. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 14 /105.
5. الروكي، نظرية التقعيد الفقهي: ص233.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم معاملة مصرفية

السؤال: اشتريت منزلًا بتمويل من بنك إسلامي، ولغاية شهر كانون الثاني من هذا العام دفعت ما ترتب عليّ من أقساط، ولكن بسبب الأوضاع الحالية وعدم دفع المؤسسة التي أعمل فيها رواتب الموظفين، لم أستطع دفع الأقساط المترتبة عليّ لاحقًا، ولحل هذه المشكلة اقترح البنك أن أوقع معاملة تورق مالي لتقسيط المبلغ المترتب عليّ لمدة إضافية بنسبة ربح إضافي تبلغ 4%، فما حكم هذه المعاملة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالمعاملة الموصوفة في السؤال تعد من صور بيع التورق، وتسمى التورق المنظم، الذي حرمه مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراره رقم 1/ 145 الصادر بتاريخ 27/ 10/ 2016م لما فيه من مخالفات شرعية.

وعليه؛ فيحرم اللجوء إلى التورق المنظم لأنه في حقيقته تمويلًا نقديًا بزيادة ربوية، وعملية شراء الصكوك المذكورة في العقد المرفق طيه وبيعها تكون صورية في معظم الأحوال.

2. الاكتفاء بأذان واحد للجمعة

السؤال: نصلي في مسجد حديث البناء، واعتمدت لجنته أذاناً واحداً عند دخول وقت صلاة الجمعة، يليه صعود الخطيب مباشرة على المنبر، فاعترض بعض الخطباء على ذلك، مطالبين برفع أذانين كما هو دارج عند كثير من الناس، فما حكم ذلك؟

الجواب: شُرع الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة، وذلك لكل فريضة من الفرائض، وكان أذان الجمعة واحدًا كالأذان لبقية الفرائض على عهد رسول الله، عليه الصلاة والسلام، وأبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما، وذلك بعد صعود الخطيب المنبر، ولم يكن قبل هذا الأذان أذان آخر، فعنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: (كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ، عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " الزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ)[1]

والمقصود بالأذان الثاني في هذا الحديث الإقامة- ثم أمر عثمان، رضي الله عنه، أن يؤذن في أول الوقت قبل أن يصعد الخطيب المنبر، كما في زماننا؛ ليعلم الناس بوقت صلاة الجمعة، وهو النداء الثالث[2]، قال ابن حجر: "يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان في البلاد جميعها إذ ذاك؛ كونه خليفة مطاع الأمر"[3]، وكان هذا الأذان يرفع في السوق خارج المسجد في وقت مبكر؛ لتنبيه الناس عند صعود الإمام إلى المنبر.

وبالنسبة إلى حكم الأذان الذي سنه عثمان، رضي الله عنه، - ويسمى اليوم الأذان

1.صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة.
2. المفاتيح في شرح المصابيح للزيداني: 2/ 327.
3. فتح الباري: 2/ 394.

الأول- فقد استحسنه الحنفية، وقالوا إنه لم يخالفه أحد من الصحابة[1]، ونص المالكية على مشروعية أذانين للجمعة[2]، وذهب الشافعية إلى أن الأولى جعل أذان الجمعة واحدًا، قال الشافعي: "وأحب ما كان يفعل على عهد رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر وعمر"[3]، وذهب الحنابلة إلى استحبابه[4]، وأشار مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم 3/ 10 الصادر بتاريخ 20/ 2/ 1997م إلى مشروعية الأذان الأول لصلاة الجمعة.

وعليه؛ فاعتماد أذان أو أذانين للجمعة يستند كل منهما إلى دليل شرعي.

3. حكم الاعتراض على الإمام

السؤال: ما حكم من يعترض على إمام المسجد بصوت عالٍ أمام المصلين؟

الجواب: المسجد له شأن عظيم، ومكانة عالية في الإسلام، فهو بيت الله، ومكان للعبادة والصلاة وقراءة القرآن والذكر، ومجلس للعلم والعلماء، ولإمام المسجد مكانة رفيعة بين الناس، فهو يؤمهم في أعظم ركن من أركان الإسلام، ويقوم بدور المرشد والموجه والمربي والداعي والهادي لخير الأعمال والأقوال، فله احترامه وهيبته في المجتمع، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ)[5]

وعليه؛ فينبغي احترام أئمة المساجد وتقديرهم، وتجنب رفع الصوت عليهم، أو التحدث معهم بأسلوب غير مناسب، وإذا أخطأ الإمام، فينبغي نصحه برفق ولين،

1. التنبيه على مشكلات الهداية: 1 /501.
2. إرشاد السالك لابن عسكر: ص:27.
3. الأم: 1/ 244، البيان في مذهب الإمام الشافعي: 2/ 88.
4. الشرح الكبير ابن قدامة: 5/ 244.
5. سنن الترمذي، كتاب الصلاة،باب ما جاء أن الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، وصححه الألباني.

وتوجيهه إلى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة، والأفضل أن يتم ذلك بعيداً عن الناس.

4. أمانة معد ميزانية المؤسسة

السؤال: ما حكم إعداد ميزانية لمشروع خيري وصرف مبالغ على حاجات لدعم المشروع غير مدرجة في الميزانية دون علم الممول؟

الجواب: إن كنتَ موكلاً بإعداد ميزانية أو موازنة لمشروع خيري أو غيره، فلا يجوز أن تضيف زيادة على السعر المطلوب لذلك، لإنفاقها على أمور أو حاجات غير مدرجة في الميزانية دون علم الممول، فذلك يتنافى مع متطلبات حفظ الأمانة وأدائها إلى أصحابها، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء: 58)، ويقول، صلى الله عليه وسلم: (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)(*)، أما إذا أعلمتَ الممول للمشروع بأنك تريد صرف بعض المبالغ من الميزانية لحاجات دعم المشروع، وأذن لك بذلك، فيجوز لك صرفها في ذلك، والأصل أن تدرج هذه التعديلات في الميزانية أو ملحقاتها

5. حكم التحايل على شركة التأمين

السؤال: أعمل طبيب أسنان، ولديّ زبائن من أساتذة الجامعات، أو يعملون في شركات تأمين، ويطلبون مني إجراء عمليات تكميلية لا يشملها التأمين، أو يطلبون أدوية ليبيعونها أو لاستبدالها بأدوية أخرى، أو يطلبون كتابة تقارير لعلاجات أخرى يشملها التأمين، والغرض من ذلك الاستفادة من قيمة التغطية التأمينية، فما حكم ذلك؟

الجواب: شدد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في خطبة الوداع على تحريم

* سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب منه، وصححه الألباني.

أكل أموال الناس بالباطل، فقال: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، عليكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...)[1].

وحرّم مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 2/ 104 بتاريخ 18/ 4/ 2013م أخذ المال بالتحايل والغش والخداع والكذب والتزوير؛ لأنه أخذ لأموال الناس بغير وجه حقٍ، والله تعالى يقول: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...}(البقرة:188)، والأفعال الموصوفة في نص السؤال تندرج تحت مفهوم الغش، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[2]، والطبيب مؤتمن من قبل هذه الشركات، ولا يجوز للطبيب المشار إليه في السؤال ومن في حكمه التصرف إلا في حدود ما وكل به دون تجاوز أو تحايل، قال، صلى الله عليه وسلم: (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)[3]

6. تقيد المبعوث بشروط المانح

السؤال: أنا طالبة جامعية حصلت من متبرع على منحة دراسية بناء على تفوقي في الثانوية العامة، والمنحة تدفع لي مباشرة، وفي الفصل الدراسي الحالي حصلت على إعفاء من الجامعة للفصل الجامعي القادم لتحقيق شروط التميز الأكاديمي، فهل تحق المنحة الأولى لي، علماً أني أحتاج إلى المال لتلبية المصاريف الجامعية الأخرى التي لا يستطيع والداي توفيرها، كالمواصلات؟

الجواب: ينبغي لمن يحصل على منحة دراسية أن يتقي الله تعالى فيها، ويبذل وسعه كله في الدراسة، ليحقق مقصود المانحين، ويؤدي الأمانة التي أوكلت إليه،

1. صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ والأعراض والأموال.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا).
3. سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، وصححه الألباني.

فالمسلمون عند شروطهم، والأصل الالتزام بشروط المنحة.

وإذا كان حصولكِ على الإعفاء الجامعي لا يخل بشروط المنحة الأولى، ولا تتأثر به، ولا تمنع منها بموجبها، فيجوز لكِ الاستمرار بأخذها، أما إن كان المتبرع بالمنحة يمنع مواصلة أخذها في مثل هذا الوضع، المتمثل بالحصول على الإعفاء الجامعي، فعليك مراجعته، والتقيد بقراره بالخصوص.

7. متى يعد الإنفاق على الأبناء ديناً؟

السؤال: ما حكم خصم الأهل مقدار ما أنفقوه على تعليم ابنتهم وغيره، من الذهب الذي ورثته من والدتها؟

الجواب: الأصل أن يحذر الناس من أكل أموالهم بينهم بالباطل، والله تعالى يقول: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...} (البقرة:188)، ومن حيث المبدأ فإن الإنفاق على الأبناء يعد ديناً في ذممهم إذا أخذ مقابله المادي على سبيل الدين، أما إذا قام به أحد الوالدين أو الإخوة أو الأقارب على سبيل التبرع أو أداء الواجب، فلا يعد ديناً، وبالتالي لا يلزم المنفق عليه بسداد قيمة ما أنفق عليه.

8. حكم المكان الذي يمشي عليه الكلب

السؤال: هل المكان الخاص بمنطقة بيتي الذي يمشي عليه الكلب طاهر أم نجس؟ وإذا مشى عليه فقط، وكان هناك مطر، ثم مشيت على المواقع التي مشى عليها الكلب، وهو مبلول من المطر، فهل أنجس أم لا ؟ وهل يجب عليّ بعد هذا المشي أن أغسل قدمي والأرض سبعاً إحداهن بالتراب؟ أرجو الإجابة عن ذلك وفقاً لآراء السادة الشافعية.

الجواب: اختلف الفقهاء في نجاسة الكلب، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه نجس

العين[1]، وذهب الحنفية إلى أنه طاهر ما عدا لعابه وبوله وعرقه وسائر رطوباته، فهذه الأشياء نجسة[2]، وذهب المالكية إلى أنه طاهر، وسائر رطوباته[3]

وبهذا يظهر أن الكلب نجس العين عند الشافعية، والمكان الذي يمشي عليه الكلب لا ينجس عندهم إن لم يصبه شيء من بوله وريقه وعرقه؛ ولا يغير ذلك الحكم إصابة المكان بلل من المطر بعد مشي الكلب عليه، فعن حمزة بن عبد الله، عن أبيه قال: (كَانَتِ الكِلاَبُ تَبُولُ، وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي المَسْجِدِ، فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ)[4]، أما إذا لمسه ببعض ريقه أو بوله أو رجيعه فينجس الموضع الذي أصابته النجاسة، ومن أراد تطهيره فليغسله سبع مرات، إحداهن بالتراب، أو ما يقوم مقامه من صابون وغيره، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَعَفِّرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ)[5]

والله تعالى أعلم

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل

1. الأم: 1/ 8، المغني لابن قدامة: 1/ 35.
2. حاشية ابن عابدين: 1/ 204.
3. الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب مالك: 1/ 43، 44.
4. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.
5. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب

أهمية الأخلاق في الإسلام

أ. محمد خليل جاد الله / مدير عام الإدارة العامة للشؤون الإدارية والمالية
دار الإفتاء الفلسطينية

المقدمة:

تحتل الأخلاق في الإسلام مكانة بارزة، وتعد جزءًا رئيساً منه، يتجلى ذلك في قول النبي محمد، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صالح الْأَخْلَاقِ)(*). فالأخلاق في الإسلام ليست مجرد سلوكات محمودة فحسب، بل هي قواعد ومبادئ تُنظم حياة الفرد والمجتمع، وتساهم في بناء مجتمع متماسك وعادل، فأهمية الأخلاق تنعكس في كل جوانب الحياة اليومية، بدءًا من التعامل مع الأسرة والجيران وأهل الحي، وصولًا إلى العلاقات التجارية والسياسية على المستوى الإقليمي والدولي، وتتجلى أهمية الأخلاق الإسلامية في كونها تدعو إلى الصدق والأمانة والتواضع والعدل والرحمة، ما يعزز من الترابط الاجتماعي، وتحقيق السلم الداخلي والخارجي في المجتمعات كافة.

مفهوم الأخلاق في الإسلام:

الأخلاق في الإسلام تعني مجموعة القيم والمبادئ التي تنظم سلوك الأفراد، وتحدد ما هو صحيح، وما هو خاطئ من منظور ديني وأخلاقي، ويعد القرآن الكريم

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

والسنة النبوية المصدرين الرئيسين للأخلاق، حيث يوجهان المسلمين نحو السلوك الحسن، والتعامل الجيد مع الآخرين، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(القلم: 4)، وعندما سُئِلَتْ عائشةُ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[1]، يتضح من ذلك أن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، مثال أعلى للأخلاق الحميدة التي يجب علينا جميعاً التحلي بها اقتداء به عليه السلام، وتماشياً مع ما جاءت به الرسالة النبوية من تعزيز لهذه الأخلاق الفاضلة بين الناس لما لها من انعكاسات مهمة على استقرار المجتمعات، وبنائها البناء السليم.

أهمية الأخلاق في الإسلام:

بناء المجتمع المتماسك: تعد الأخلاق حجر الزاوية في بناء مجتمع متماسك وقوي. فالاحترام المتبادل، والأمانة، والعدل هي قيم رئيسة تساهم في تعزيز الثقة بين الأفراد.

قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [2]، فهذا الحديث يشدد على أهمية الإيثار والمحبة بين أفراد المجتمع، ما يساهم في خلق بيئة متعاونة ومزدهرة، وقال صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)[3]، فالأخلاق الحسنة تساهم في تعزز البيئة المجتمعية المتعاونة القادرة على تحقيق الازدهار والتنمية.

حماية الحقوق وتحقيق العدالة: يولي الإسلام أهمية كبيرة للعدالة باعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي. قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا

1. مسند أحمد، مسند النساء، مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.
3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} (النساء: 135)، ويبرز هذا أهمية التزام المسلم بالعدالة حتى في الظروف الصعبة، الأمر الذي يعزز من حقوق الأفراد، ويمنع الظلم والفساد، ويشدد الإسلام على العدالة في الأمور جميعها، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}(النحل: 90)، فالعدالة أحد أهم القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، وتؤدي إلى الاستقرار والرخاء في المجتمع.

تحسين العلاقات الإنسانية وتعزيز التعايش السلمي: الأخلاق تؤدِّي دورًا كبيرًا في تحسين العلاقات بين الناس، وتعزيز التعايش السلمي، قال الله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} (البقرة: 83). فالتوجيه إلى القول الحسن والتعامل الطيب يعزز من الروابط الإنسانية، ويقلل من النزاعات والصراعات، ويسهم في بناء مجتمع متسامح ومحب، فالأخلاق تعزز العلاقات الطيبة بين الناس، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، ما يشير إلى أهمية التعامل بالحسنى مع الجميع.

تحقيق رضا الله والفوز بالجنة: تقود الأخلاق الفاضلة إلى رضا الله تعالى، قال النبي محمد، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)(*)، هذا يؤكد أن الأخلاق العالية هي الطريق إلى دخول الجنة، ونيل رضا الله تعالى.

فالهدف الرئيس من الرسالة النبوية هو تعزيز الأخلاق الفاضلة. كما قال الله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا}(المزمل: 20)، فالأعمال الصالحة النابعة من الخلق الحسن، وما تضمنه من سلوك وقيم عالية، تعد استثمارًا للفرد في الدار الآخرة.

تعزيز الثقة والأمانة في التعاملات المالية: يركز الإسلام على أهمية الأمانة والثقة

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في التعاملات المالية والتجارية، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} (المائدة: 1)، والالتزام بالعقود والوعود يعزز من الثقة بين الأفراد والشركات، ويسهم في استقرار السوق والاقتصاد.

والأمانة في التجارة تعد من الأخلاق الرفيعة التي يثيب عليها الله عز وجل يوم القيامة.

التأثير الإيجابي في الذات: الأخلاق الفاضلة لها تأثير كبير في الفرد نفسه، فهي تجلب له الراحة النفسية والسلام الداخلي. قال النبي محمد، صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)(*).

والقوة هنا لا تقتصر على القوة الجسدية، بل تشمل القوة الأخلاقية والنفسية، والفرد الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة يشعر بالطمأنينة والرضا عن النفس، ما ينعكس إيجابياً على صحته النفسية والجسدية.

أهمية الحاجة إلى الأخلاق الحميدة في عصرنا الحاضر :

في العصر الحديث، تتزايد التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل كبير، ما يجعل الحاجة إلى الأخلاق الحميدة أكثر أهمية من أي وقت مضى، وهذه بعض الجوانب التي تبرز فيها أهمية الأخلاق في عصرنا الحاضر:

تعزيز الثقة في المجتمع: الثقة هي أساس التعامل بين الأفراد والمؤسسات. عندما يكون الناس صادقين وأمناء في تعاملاتهم، تتعزز الثقة بينهم، ما يؤدي إلى بناء بيئة اجتماعية واقتصادية مستقرة، فالأخلاق الحميدة تساهم في بناء علاقات قائمة على الثقة والاحترام المتبادل، وهو أمر حيوي لأي مجتمع ناجح.

* صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

المساهمة في مكافحة الفساد: الفساد هو أحد أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات الحديثة، سواء كان ذلك في القطاع العام أم الخاص، فالأخلاق الحميدة مثل النزاهة والأمانة والعدل تؤدي دورًا كبيرًا في مكافحة الفساد، وتقليل تأثيره السلبي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعندما يكون الأفراد ملتزمين بالقيم الأخلاقية، يقل احتمال وقوع الفساد، ويزداد مستوى الشفافية والمساءلة لديهم.

تحقيق العدالة الاجتماعية: الأخلاق الحميدة تسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال تعزيز قيم المساواة والتسامح والرحمة، ففي عالم يعاني من التفاوت الكبير في الثروات والفرص، يمكن للأخلاق أن تكون القوة الدافعة نحو تحقيق التوازن والعدالة في المجتمع، وتضمن حصول الجميع على فرص متساوية، وتحد من الفقر والتهميش.

تحسين العلاقات الإنسانية: العلاقات الإنسانية هي أساس السعادة والرفاهية في المجتمع، والأخلاق الحميدة مثل الاحترام والصدق والتسامح تعزز من جودة هذه العلاقات، سواء أكانت على مستوى الأسرة أم المجتمع أم العمل، فعندما يتعامل الناس بلباقة واحترام، تصبح العلاقات أكثر انسجامًا وتفاهمًا، وتقل النزاعات والصراعات.

دعم التنمية المستدامة: التنمية المستدامة تعتمد على التعاون بين الأفراد والمجتمعات والدول لتحقيق الأهداف المشتركة. والأخلاق الحميدة مثل التعاون والإخلاص والعدالة تساهم في تحقيق التنمية المستدامة من خلال تعزيز التعاون الدولي والمحلي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، مثل القضاء على الفقر، وتحسين التعليم، وحماية البيئة.

تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية: الأخلاق الحميدة تؤثر إيجابًا في الصحة النفسية والاجتماعية للأفراد، فعندما يكون الناس ملتزمين بالقيم الأخلاقية، يشعرون بالرضا والطمأنينة والسلام الداخلي، القيم مثل العفو والتسامح تسهم في تقليل التوتر والقلق، وتساعد على بناء علاقات اجتماعية صحية ومستدامة.

تقديم نموذج إيجابي للأجيال القادمة: الأخلاق الحميدة تساعد في تشكيل نماذج إيجابية للأطفال والشباب، مما يساهم في بناء جيل مستقبلي يتمتع بالقيم الأخلاقية العالية، عندما يرون النماذج الأخلاقية الإيجابية في مجتمعاتهم، تشجعهم على تبني هذه القيم في حياتهم الخاصة، وتضمن استمراريتها عبر الأجيال.

الخاتمة:

الأخلاق في الإسلام ليست مجرد سلوكات فردية، بل هي أساس لبناء مجتمع عادل ومزدهر، وفي خضم التحديات المعاصرة، تبرز أهمية الأخلاق الحميدة باعتبارها عنصراً أساساً لبناء مجتمع قوي ومتماسك، من خلال تعزيز القيم الأخلاقية مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والتسامح، ويمكننا مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بفعالية أكبر. وإن الالتزام بالأخلاق الحميدة ليست فقط مسألة دينية أو ثقافية، بل هو ضرورة حتمية لتحقيق التوازن والاستقرار والازدهار في عصرنا الحالي.

فمن خلال الالتزام بالقيم الأخلاقية التي يرشدنا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، يمكننا تحقيق رضا الله، وتعزيز التعايش السلمي، وتحقيق العدالة في المجتمع، فعلى المسلم أن يسعى جاهداً لتحسين أخلاقه، وأن يكون قدوة حسنة لغيره، ويسهم في نشر القيم الإسلامية الفاضلة في مجالات الحياة كلها.

الشّكر بالعمل

أ.يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدّمة:

الحمد لله حمد الشّاكرين، والصّلاة والسّلام على خير الخلق والمرسلين سيّدنا محمد، عليه أفضل الصّلاة، وأتمّ التّسليم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن استنّ بسنّته إلى يوم الدّين، وبعد؛

فيعد الشّكر مجازاة على الإنسان، والثّناء الجميل على ما يقدّم من خير وإحسان، فالشّكر زينة الغنى، ودليل على سموّ النّفس وعلوّها، وبه تدوم النّعم، وهو دلالة على حسن الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر، والرّسول، عليه الصّلاة والسّلام، يقول: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[*] فالمؤمن يكون دائم الشّكر لله سبحانه وتعالى على نعمه وفضله، شاكراً لله في عمله وسلوكه وكلامه وصبره، وبكلّ ما يقوم به في حياته، جاعلاً من رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، قدوة له، والذي كان يرى نفسه دائماً عبداً شكوراً، وهو قدوتنا، فنقتدي به؛ لأنّ حياته هي حياة أكمل النّاس، وبالشّكر تكون طاعتنا وانصياعنا لأوامر الله سبحانه

* صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

وتعالى، والاقتداء بالرّسول، عليه السّلام، شرط للفلاح والنّجاح والنّصر. وسيقف هذا المقال عند الشّكر لغةً واصطلاحاً، والشّكر في القرآن الكريم، وكيف يكون الشّكر بالعمل، ومنزلة الشّكر وثمراته، سائلين الله سبحانه وتعالى التّوفيق والرّشاد.

الشّكر لغة واصطلاحا:

الشّكر لغة: شَكَرَ: الشُّكر: عرفان الإحسان ونشره، وهو الشّكور أيضاً، أي كثير الشّكر، قال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء: 3)، والشّكور من صفات الله سبحانه وتعالى، معناه: يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده مغفرته لهم، والشّكر مثل الحمد، لكن الحمد أعمّ منه.[1]

الشّكر اصطلاحاً: الشّكر هو الثّناء على المحسن بما قدّمه من المعروف، والذي يكون بالقلب أو اللّسان أو اليد، وهذا هو شكر المحسنين من النّاس، وشكر الله يكون بالثّناء عليه سبحانه وتعالى وملازمة حمده، والالتزام بأدعية الشّكر[2].

الشّكر في القرآن الكريم:

وردت كلمة الشّكر ومشتقاتها في القرآن الكريم (70) مرّة، والصّور الّتي جاءت عليها كما يأتي: شَكَر (مرّتان اثنتان) شَكَرْتُم (مرّتان اثنتان) أَشْكُرُ (مرّتان اثنتان) تشْكروا (مرّة واحدة) تَشْكرون (19مرّة) يَشْكُرُ (مرتان اثنتان) يَشْكُرون (9 مرّات) اشْكُر (مرّتان اثنتان) واشْكُروا (5 مرّات) شُكْرا (مرّة واحدة) شُكورا (مرّتان اثنتان) شاكرٌ (مرّة واحدة) شاكراً (3 مرّات) شاكرون (مرّة واحدة) الشّاكرين (7 مرّات) شَكُور (8 مرّات) شَكُوراً (مرّة واحدة) مَشْكُورا (مرّتان اثنتان)

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادّة شكر، 4 /423 - 424.

2 - أمكن الرجوع إليه في 17/8/2024م ، https://mawdoo3.com .

يلاحظ أنّه لأهمّيّة الشّكر في حياة النّاس، فقد أورده الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في (70) موقعاً، ومن خلال دراسةٍ وتأمّلٍ في الآيات الّتي تناولت ذكر الشّكر وروده في حياة المؤمن، نجد أنّ فائدة الشّكر تعود على الإنسان الشّاكر نفسه؛ لأنّ الله غنيّ عن العباد وعبادتهم، فهو كريم، أي كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فعظمته ليست مفتقرة إلى أحد، قال تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النّمل: 40)، وأنّ الله ينجّي الشّاكرين من عذاب الدّنيا والآخرة، ويأتي الشّكر بصلاح العمل والإيمان بالله ورسوله، ومن يشكر نعم الله يزيده الله منها، ويبارك فيها، وأنّ المؤمن يطلب من الله أن يلهمه شكر نعمه الّتي منّ الله عليه بها من خلال الإيمان المطلق به سبحانه، والتّسليم له، ويحبّ الله سبحانه وتعالى لعباده أن يشكروه، ويرضه لهم، ويزيدهم بفضل الشّكر، قال تعالى: {كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} (الأعراف: 58)، وأصل الشّكر أن يقيم المؤمن أمر الله ويطيعه في كلّ شيء بأداء الفرائض، وترك المحارم، وحفظ حدود الله سبحانه وتعالى، والشّكر مرتبط بالعمل الصّالح دائماً، وفي كلّ الأحوال، والمتأمّل في بعض الآيات الّتي تتحدّث عن الشّكر يجد أنّ القليل من النّاس يشكرون الله على نعمه وفضله، حيث جعل الأرض لهم قراراً، وجعل فيها رواسي وأنهاراً، ومنازل، وبيوتاً، وسخّر لهم السّحاب لإخراج أرزاقهم منها، وجعل لهم معايش، أي مكاسب وأسباباً يكسبون بها، ويتّجرون فيها، ويتسبّبون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشّكر، قال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} (الأعراف: 10)(*)

* تفسير ابن كثير، 2 /193 .

إنّ نعم الله تستوجب الشّكر بأداء العبادات بأنواعها كلها في اللّيل والنّهار، ومن فاته شيء باللّيل استدركه بالنّهار، ومن فاته شيء بالنّهار استدركه باللّيل، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}(الفرقان: 62)، وأنّ نفع الثّواب عائد للشّاكرين، وفي حالات القيام بأعمال تطوّعيّة خاصّة فيما يتعلّق بالحجّ والعمرة فإنّ الله سبحانه وتعالى في ذلك يشكر للمؤمن الشّاكر، أي أنّ الشّاكر تصيبه نعمة من المشكور، فالمؤمن عندما يؤدّي ما افترضه الله عليه فهو يؤدّي الفرض، لكن عندما يزيد بالتّطوّع حبًّا في النّسك ذاته، وطاعة لله، فهذه زيادة يشكره الله عليها، قال تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 581)(*)

وربط الله سبحانه وتعالى قضيّة الجهاد في سبيله بالشّكر، فلا يظنّ ظانّ أنّ القتال هو الّذي يسبّب الموت، إنّما أمر الموت والحياة بيد واهب الحياة، وأنّ الفضل من الله عطاء يزيد على حاجتك، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} (البقرة: 243)، فمثل هذا الموت المذكور في الآية هو فضل من الله؛ لأنّنا جميعا سوف نموت، فإن مات الإنسان استشهاداً في سبيل الله فهذا عطاء زائد، لكنّ أكثر النّاس لا يشكرون؛ لأنّهم لا يعلمون مدى النّعمة فيما يجريه الحقّ سبحانه وتعالى عليهم من أمور؛ لأنّ النّاس لو علموا مدى النّعمة فيما يجريه الحقّ عليهم من أحداث بما فيها الإحياء والإماتة، لشكروا الله على كلّ ما يجريه عليهم، فالله لا يجري

* تفسير الشّعراويّ، محمّد متولّي الشّعراويّ، 1 /108 - 109.

على البشر وهم من صنعته إلّا ما يصلح هذه الصّنعة، وما هو خير لها.[1] لذا فنعم الله كلّها تستحقّ الشّكر، وهي لا تعدّ، ولا تحصى.

وجاء الشّكر بصيغة الأمر، فيأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بشكره على رزقه الحلال، فإنّه المنعم المتفضّل به على النّاس، قال تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}(النّحل: 114).

وممّا يوضّح أنّ الشّكر يكون بالعمل قوله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا}(سبأ: 13)؛ أي اعملوا شكراً على ما أنعم به الله عليكم في الدّين والدّنيا، وسيتم توضيح ذلك لاحقاً، عند الحديث عن كيفية الشّكر بالعمل.

كما يلاحظ الشّكر في قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}(الإنسان: 8 - 9)، أنّ النّاس يطعمون الطّعام للمسكين واليتيم والأسير وهم يشتهونه ويحبّونه، قائلين بلسان الحال: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) أي رجاء ثواب الله ورضاه، ولا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها، ولا أن تشكروننا عند النّاس، وقال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب.[2]

والله سبحانه وتعالى يضاعف في الأجر لمن يعمل الصّالحات، فيجزي على القليل كثيراً كما ورد في قوله تعالى: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (التّغابن: 17) وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سيّدنا نوحاً، عليه السّلام، أنّه كان عبداً شكوراً لله في قوله تعالى:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء: 3) وقد كان سيّدنا نوح يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كلّه، فكان

1. انظر تفسير الشّعراويّ، 3 /166 - 167.
2. تفسير الشّعراويّ، 3 /390.

إذا أكل أو شرب حمد الله، فاقتدوا به.(*)

كيف يكون الشّكر بالعمل؟

يكون الشّكر بالعمل بطريقة عمليّة تطبيقية من خلال الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإخلاص لله، والإكثار من التّسبيح والتّحميد والتّكبير، والثّناء باللّسان، وتكرار النّطق بنعم الله، والتّحدّث بها، والثّناء على الله سبحانه وتعالى، وشكره على نعمة الصّحّة بالانصياع لأوامره سبحانه وتعالى، وأن لا نستخدم النّعم الإلهيّة في غير ما يرضاه الله عزّ وجلّ، وشكر المؤمن لله يكون ضمن الحالة الّتي يريده الله أن يكون عليها، فالشّكر باللّسان لا يعني تمام الشّكر، إلّا أن يكون تعبيراً عن معرفة الإنسان القلبيّة بالنّعمة، فيكون عمل الإنسان تأكيداً لهذا الشّكر، فأداء الشّكر العمليّ هو الانصياع لأوامر الله تعالى، واجتناب المعاصي، فلا يجوز أن نشكر الله باللّسان، وأفعالنا تخالف أقوالنا، فأيّ عمل نقوم به يجب أن يكون ضمن رضا الله سبحانه وتعالى وخالصاً له جلّ في علاه. لذا، فالإيمان مقترن بالعمل الصّالح في كلّ الأحوال. قال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (فاطر: 7).

نعم، يكون الشّكر بعدم استعمال نِعم الله فيما يغضبه، فلا نستخدم العين بالنّظر إلى المحرّمات، ولا نستخدم القوّة بالبطش بالضّعفاء، ولا نستخدم المال في شراء المحرّمات، والسّعي لها، بل علينا -حتّى نكون من الشّاكرين- أن نوظّف كلّ نعمة فيما يخصّها من الطّاعات، فننفق من المال على الفقراء، ونستخدم الجاه في الشّفاعة بالحقّ لمن يحتاجها، وهكذا. وعلى الإنسان أن يكثر من الشّكر بالطّاعات،

* محمّد عليّ الصّابونيّ، صفوة التّفاسير، 2 /140.

وأن لا يملّ من ذلك، وفي الحديث الصحيح: «قَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[1] مما يؤكّد على أنّ المؤمن دائم الشّكر لله في سلوكه، وفي الأوقات كلها. ومن الآيات الّتي وقفت عندها كثيراً قوله تعالى في الإنسان: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}(الإنسان: 3)، حيث لفت انتباهي قوله تعالى في الشّكر شاكراً، وفي عدم الشّكر كفوراً، فما الغاية من التّعبير باسم الفاعل الدّالّ على القلّة في الشّكر، وصيغة المبالغة الدّالّة على الكثرة في الكفر، فلمّا كان الشّكر قد قلّ منْ يتّصف به، قال: شاكراً، فعبّر الله عنه باسم الفاعل للدّلالة على قلّته، ولمّا كان الكفر في عدم الشكر كثيراً من يتّصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان، قال: كفوراً، فعبّر عنه بصيغة المبالغة.[2] كذلك هذه الآية دالّة على أنّ الإنسان إرادة واختيار، وهما مناط التّكليف، وأنّ الشّكر يأتي دالّا على الإيمان.

ولهذا، فالشّكر دلالة على السّير في طريق الهدى، والسّير في طريق الضّلال دلالة على الكفر، فالإنسان بذلك إمّا شقيّ وإمّا سعيد، والله سبحانه وتعالى دلّ الإنسان على سبيلي الشّكر والكفر، وعلى الإنسان أن يختار سلوك هذا أو ذاك، والصّيام شكر، وكلّ خير تعمله لله عزّ وجلّ شكر، وأفضل الشّكر الحمد، وهو تقوى الله، والعمل الصّالح.

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، بَابُ {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح: 2].
2. محيي الدّين الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، المجلّد الثّامن، ص165.

منزلة الشّكر وثمراته:

يكفي الشّكر منزلة عظيمة أنّ الله العظيم سبحانه وتعالى سمّى نفسه شاكراً وشكوراً، قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النّساء: 147) فالشّكر له مكانة تكامليّة خاصّة تقوم على اللّسان والقلب والعمل كما أسلفنا، ويدلّ الشّكر على سموّ النّفس، وسعة العقل، ويكون الشّاكر لله سبحانه وتعالى قرير العين يحبّ الآخرين، ويكون لا يحسد منْ كان في نعمة، وبه تتحقّق العبوديّة بالاعتراف بأنّ الله عزّ وجلّ هو المنعم، كذلك فيه حفظ النّعمة من الزّوال، وباب للزّيادة، وتحصيل حبّه عزّ وجلّ، فإذا تحلّى المسلم بخلق الشّكر والحمد لربّه، فإنّه يضمن بذلك المزيد من نِعمِ الله في الدّنيا، ويفوز برضوانه وجنّاته، ويأمن عذابه في الآخرة، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(إبراهيم: 7)، وبالشّكر نكسب رضا الله ومحبّته، وبأن نكون قريبين من الله ومن النّاس، لذا تبقى معنويّات الشّاكرين مرتفعة، وشكر النّاس للنّاس يعمل على سدّ الفجوات وتقوية العلاقات، إذ إنّه من لا يشكر النّاس لا يشكر الله، لهذا جاء في الأثر أنّ شكر النّاس يؤدّي إلى شكر الله سبحانه وتعالى، لذا حرص الإسلام على تحلي المسلمين بالشكر؛ لتقوية العلاقات الاجتماعيّة، والصّداقة والمحبّة بينهم، وبالتّالي يجلب الفرح، والثّقة بالنّفس، وهو من أسباب الألفة والمحبّة والأخوّة الإيمانية، فالشّاكرون ينظرون نظرة استبشار وتفاؤل نحو المستقبل تجعلهم يتوقّعون الأفضل منتظرين حدوث الخير، ويتفاءلون بالنّجاح، ويستبعدون ما خلا ذلك.

الخاتمة:

وبعد أن استعرض هذا المقال أهمّ ما يتعلّق بالشّكر في القرآن الكريم، نخلص إلى أنّ القرآن الكريم أولى الشّكر في حياة المؤمن مكانة وأهمّيّة متميّزة، فأورده في صور واشتقاقات مختلفة ومتعدّدة وردت في (70) موقعاً، وهذا يدلّ على حبّ المشكور سبحانه وتعالى، والثّناء عليه، والخضوع له، وعدم استعمال نعمه فيما يغضبه، وأنّ الشّكر يحفظ النّعم ويزيدها، وكلّ الشّكر خير في حياة المؤمن؛ لأنّه سبب لرضا الله سبحانه وتعالى، وبالتّالي يكون أماناً للعبد من عذاب الله، ويدخل العبد في قائمة المؤمنين؛ لأنّ العبد المؤمن يتميّز بشكر الله سبحانه وتعالى، وشكر الله على نعمه واجب، عملاً بقوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}(البقرة: 152)

اللّهمّ اجعلنا من عبادك الشّاكرين الحامدين

السعادة نعمة كبيرة فحذارِ من لصوصها!

أ. كمال بواطنة

السعادة في الدنيا هي تلكم الجنّة التي يسعى كلّ إنسان للوصول إليها والحصول عليها، وحقيقة الأمر أنّ الناس تعدّدت آراؤهم فيما يجلب السعادة، فمنهم من رآها في المال، ومنهم من رآها في المنصب، ومنهم من رآها في الصحّة والشباب، ومنهم من رآها في العلم، ومنهم من رآها في الزواج، ومنهم من رآها في الذريّة... ولو سئل مؤمن قويّ الإيمان عن طريق السعادة لكانت إجابته: الإيمان، فالإيمان يملأ جوانب نفس المؤمن سعادة؛ ذلك أنّ الذي يعيش في كنف ربّه يحسّ السعادة تملأ حياته، فالإيمان يولّد الرضا، والرضا يجعلك ترضى بالنقمة والنعمة، فكلاهما من تقدير العليم الخبير.

في القرآن الكريم نتلو قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد: 28)، ونتلو قوله سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام:82)، فطمأنينة القلب والأمن النفسيّ من أهمّ ثمار السعادة.

لعلّ السعادة الحقيقية هي التي أشار إليها الحقّ سبحانه في قوله: {مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل:97)، فالسعادة هي الحياة الطيّبة وما فيها من هدوء نفس وراحة ضمير، والتي تخلو من الأثقال التي ينوء المرء بحملها، معنوية كانت أم ماديّة.

والسعادة تتحقّق بالعمل الصالح مع الإيمان، ومن هنا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفرض العبادات لتحقيق سعادة العباد. يقول ربّنا سبحانه في سورة طه: {طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (طه: 1 - 2)

فالشقاء ضدّ السعادة، ولقد رأينا كيف أنّ سيّد الخلق، صلّى الله عليه وسلّم، كان إذا حزبه أمر فشقّ عليه هرع إلى الصلاة[1]، وكان يقول: (يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا)[2]، وممّا ينسب إلى إبراهيم بن أدهم، رحمه الله، قوله بعدما أكل كُسيرات خبز يابسة، بلّها بماء من نهر الأردن: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذاً لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم"[3]، وكانت تمرّ على بعض الصالحين أحوال يقولون فيها: إنّ كان أهل الجنّة في مثل ما نحن فيه، فإنّهم في عيش طيّب.

فالسعادة في أداء العبادة، وفي الذكر، ومنه الصلاة على النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، التي بها يكفى الهمّ، وتتحقّق الحاجات، والسعادة في قضاء حوائج الناس، وفي القناعة والنظر إلى النعمة الموجودة لا المفقودة.

في هدي نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، ذكر أربعة أشياء تجلب السعادة، فقال، صلّى الله عليه وسلّم: (أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ

1. سنن أبي داود، كتاب قيام الليل، باب وقت قيام النبي، صلى الله عليه وسلم من الليل، وحسنه الألباني.
2. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، وصححه الألباني.
3. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، 7 /370.

الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ)[1]، وحقيقة الأمر أنّ المرأة الصالحة، التي تطيع زوجها في غير معصية الله، والتي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حافظت على نفسها، وعلى ماله تسعد زوجها، وكذلك المسكن الواسع، الذي يسع الأهل ومن يزورهم، والجار الصالح، الذي لا يؤذي جاره بقول أو فعل، والمركب الهنيء من دابّة أو مركبة أو نحو ذلك، كلّ هذا ممّا يسعد ابن آدم، وفي المقابل؛ فإنّ ضدّ هذه الأشياء يُشقي، فقال، صلّى الله عليه وسلّم، في الحديث نفسه: (وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ)[2]

خمسة لصوص تسرق السعادة:

شدَّتني خمسة أشياء تسرق السعادة ذكرها (جون أيزو)، وهو كاتب أمريكيّ ورجل أعمال ومحاضر جامعيّ ومستشار لشركات عدّة، وضمنها كتاباً له يحمل عنوان: (لصوص السعادة الخمسة)، وهذه الخمسة لم يربطها الكاتب بالدين، وقد رأيت أنّ هذه الخمسة، تسلب الإنسان السعادة كلياً أو جزئياً، ولا بأس أن نتوقّف معها:

وهم السيطرة:

يتوهّم الإنسان كثيراً أنّه مُسيطر على الأشياء، فتراه يقول بثقة: كلّ شيء تحت السيطرة، ثمّ يظهر له أنّ الرياح تجري أحياناً على غير ما تشتهيه السفن، فمن الناس من يقرّر يوماً لرحلته، وعندما يخرج من بيته مستبشراً يجد الجوّ حارقاً، أو ماطراً، أو يجد الرياح لافحة، أو باردة، وقد يستيقظ أحدهم نشيطاً، فيخرج إلى عمله متفائلاً، فيحدث خلل في مركبته، فيتبدّد تفاؤله، وقد ينجب أحدهم ولداً بعد طول انتظار،

1. صحيح ابن حبان، 9 /340، كتاب النكاح، ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا، وصححه الألباني.
2. التخريج نفسه.

ويجتهد في تربيته وتقويمه، ثم يأتي الولد على غير ما كان يأمل، وقد يكون لرجل شجر له ثمر، ويظنّ أنّه قادر على المحافظة على الشجر والثمر، وعندما يقترب من نضجه تأتيه آفة، أو جائحة من إعصار أو نحوه، فتتلفه، فيقلّب كفيه على ما أصابه، وقد كان يُمنّي النفس بالربح الوفير،وقد يظنّ تاجر أن الربح كثير في صفقه، فيأتيه البلاء منها، والأمثلة في حياتنا كثيرة.

وحال المؤمن الحقّ أنّه يجتهد في الأخذ بالأسباب، ثمّ يفوّض الأمر إلى الله، وإذا جاءت الأمور مخالفة لما أراد كان لسان الحال: (لعلّه خير)، أو يردّد بإيمان: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 216)، فالمرء حُجب عنه الغيب، وقد لا يعرف ما ينفعه وما يضرّه، وقد يخبّئ الله له المسرّة في المضرّة، وجميل ما قال ابن عطاء السكندريّ، رحمه الله في حِكَمِه: "ربّما أعطاك فمنعك، وربّما منعك فأعطاك، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع صار المنع عين العطاء".

الأنانية:

من أكثر ما يفسد على المرء سعادته "الأنانية" وهي حبّ الذات، ورغبته في أن يحصل على كلّ شيء، ولا ينال غيره شيئاً، ومثل هذا نفسه شقيّة، فهو يلتفت يمنة ويسرة، ويريد كلّ شيء، وإن فاته ما يودّ الحصول عليه تقطّعت نفسه حسرات، وهو على عكس من يؤمن أنّ الأرزاق بيد الله، فلا يندم على ما فات، ولا يتشوّف إلى ما هو آت، وتراه قانعاً بما آتاه الله، وتراه يعتقد أنّ أسعد الناس من أسعد الناس، وأنّ لذّة الإعطاء عنده تفوق لذّة الأخذ، ومثل هذا أخذ قبساً من نور الإسلام، فمن أفضل

الأعمال سرور تُدخله إلى قلب مسلم، فتقضي عنه ديناً، أو تفرج عنه كربة.

لله درّ الأنصار! فقد عرفنا سعادتهم، رضي الله عنهم أجمعين، وهم يحبوّن من هاجر إليهم، ويؤثرونهم على أنفسهم مع ما كان بهم خصاصة، فيقاسمونهم أموالهم وديارهم.

الطمع والجشع:

من أتعس الناس من يكون عنده جشع وطمع، وليست عنده قناعة، ونفسه لا تشبع، وتراه دوماً يبغي المزيد، بل تجده يحتقر الحال التي هو فيها، وقد يكون في حال يتمناها كثير من الناس. جميل أن يكون للإنسان نفس تواقة، تطمح للوصول إلى المعالي، ولكن من الناس من لا يبالي بالوسيلة، حلّت أو حرمت، وهذا من أشقى الناس.

من العجيب أنّ المسلم يتلو في كلّ ركعة يصليها سورة الفاتحة، وأوّل آية في سورة الفاتحة {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة: 1)، فالمسلم يحمد ربّه على كلّ حال، فكيف يكون صاحب نفس جشعة طماعة، لا تشبع ولا تقنع؟!

السعادة المشروطة:

بعض الناس يتصرّف وكأنّه يعلم الغيب، فتراه يفسد على نفسه سعادته بأن يجعل سعادته مشروطة، فيقول مثلاً: إن فاتتني هذه الوظيفة، فلن أهنأ في حياتي، أو يقول: لن أذوق السعادة وراحة البال حتّى أرزق بالولد، أو يقول: إن لم أتزوّج فلانة فستكون حياتي شقية، أو يقول: إن لم أسافر إلى بلد كذا، فقد تدمّر مستقبلي...

المؤمن لا يربط سعادته بشيء، وهو يؤمن بأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وكثير من الناس كان حتفه فيما تمنّاه، فتمنّى وظيفة كانت سبب شقائه، وتزوّج امرأة أحبّها، فكانت حياته معها جحيماً.

ومن طريف ما سمعت أنّ أحدهم طلب يد فتاة، فرفضت، ففقد عقله من شدّة الحزن، فنقل إلى مشفى يعالج هذه الحالات، وكان في غرفة مجاورة رجل يُعالج بعد أن فقد عقله، فسأل بعضهم عن السبب الذي أوصل الآخر إلى هذه الحال، فقيل: هذا الرجل الذي تزوّج المرأة التي رفضت الزواج بهذا!

إنّ خيرة الله للإنسان خير من خيرته لنفسه، فالله عليم بما كان وما سيكون، فليرض بما كتب الله وقسم، وكثير من الأشياء فاتتنا كنّا نظنّها سبباً في سعادتنا، فتبيّن لنا أنّها كانت ستكون سبباً في شقائنا لو نلناها.

منطقة الراحة:

بعض الناس يفقد أسباب راحته؛ بسبب ركونه إلى الراحة المؤقتة، فتراه يقول: لماذا أدرس وأتعب؟ وما درى المسكين أنّه سيجني بعد ذلك الشقاء والتعب، أو تراه يقول: لماذا أترك الفراش الوثير الهنيء وأذهب إلى صلاة الفجر؟ وما درى أنّ صلاة الفجر مفتاحٌ لسعادته طوال اليوم، أو تراه يقول: لماذا أحرم نفسي من الطعام والشراب فأصوم؟ وما علم أنّ الصوم يخفّف من طغيان المادة والشهوات، وفيه سعادة الروح، أو يقول: لماذا أحرم نفسي من ألوان الطعام والشراب؟ وما علم أنّ الإسراف يهلك عليه صحته، فيفسد عليه سعادته.

إنّ العاقل لا يركن إلى راحة مؤقتة يعقبها شقاء وتعاسة، ولكنّه ينظر إلى غدٍ، وكثير من الناس ينظر إلى اللذة العاجلة التي قد يعقبها شقاء دائم، ورحم الله أبا تمام إذ أنشد في قصيدته الشهيرة (فتح عمورية):

بَصُرْتَ بالراحةِ الكُبرى فلم تَرَهَا تُنالُ إلا على جسرٍ من التَّعبِ

متعنا الله بالسعادة، وهدانا إلى السبل الموصلة إليها

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

ليس كل ما يحزنك شر!

• وحدكَ يا الله، كنتَ تعلم أثر الفقد على قلب أم موسى، حين كادت أن تُبدي به، فقلت: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (القصص: 10)، فربطتَ على قلبها، وبشرتها: {وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (القصص: 7)

• وحدكَ كنتَ تعلم وجع مريم، عليها السلام، حين قالت: {... يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا}(مريم: 23)، فأرسلتَ إليها النداء: {أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} (مريم: 24)

• وحدكَ كنت تعلم حزن يعقوب حين قال: {... إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يوسف: 86)، فرددتَ إليه يوسف.

ليسَ كلُّ ما يُحزنُ قلبك، ويُدمع عينيك، هو شرٌّ لك! بل هو خير ما دامَ قلبك واثقاً بالله؛ لأن اللهَ لا يكتبُ لك إلا كلَّ خيرٍ جميـل، والشيطان يحبُّ أن يُحزنك، فاحذر أن تحـزن، وثـــــق بالله، فإنَّ عطايا الرحيـم تأتي بعدَ المحن.

فبين الحلم والأمنية والقدر والنصيب، لا يحدث إلا ما كـتـبه الله لنا، الأشياء الجميلة تختبئ خلف العسر دائماً، ليُفاجئ اللهُ صبرنا بكرم عـطـاياه.

و(الحزن) في القرآن لم يأت إلا منهياً عنه، كما في قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} (آل عمران: 139)، أو منفياً كقوله تعالى: {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 38)

فـالحزن يضعف القلب، ويوهن العزم ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، لذلك استبشروا وتفاءلوا وأحسنوا الظن بالله، وثقوا بما عند الله، وتوكلوا عليه وستجدون السعادة والرضا في كل حال.

لا تفسد فرحتك بالقلق، ولا تفسد عقلك بالتشاؤم، ولا تفسد نجاحك بالغرور، ولا تفسد تفاؤل الآخرين بإحباطهم، ولا تفسد يومك بالنظر إلى الأمس، لو تأملت في حالك لوجدت أن الله أعطاك أشياء دون أن تطلبها، فثق بأن الله لم يمنع عنك حاجة رغبتها إلا ولك في المنع خير.

هوّن عليك

رأى أحد الصالحين رجلاً مهموماً، فقال له: ما بك؟ قال الرجل: همٌّ أصابني.

فقال له: أضاعت الجنة منك؟ أم أُخبِرت بعدم القَبُول؟

هوِّن عليك، فكلُّ ما دونَ الجنة دون.

هوِّن عليك وتذكر ما هي إلا دنيا، أيامٌ وتَمْضي؛ لا تحزن فكل ما فيها مُتعِب، وكل مَن فيها مُتعَب، الحَمد للّٰه أنَّها ليسَت دَارَنا ولا دِيارَنَا، وأنّ المُستقر بجوارِ رَبِّ العَالمين، الحمد لله أنها دُنيا وسَتنقضي، وعسَانا في الجنة نأنَس ويُؤنَسُ بنا.

الدنيا ثلاث ساعات...

• ساعة مضت، لا ولن تعود !

• ساعة نحن فيها، فاتقِّ الله !!

• وساعة قادمة، لا ندري سنصل إليها أم لا؟!

حكمة

إن كنتَ ساخطاً على ماضيك، فماضيك تُصلحهُ لحظة توبة.

وإن كنتَ ساخطاً من حاضرك، فحاضرك تُسعدهُ لحظة رضا بما وهبك الله.

وإن كنتَ قلِقاً على مستقبلك، فمستقبلُك تكفلهُ لحظةُ توكُّلٍ على الله.

هل تعلم؟

• أعقل النّاس أعذرهم للناس.

• أغنى النّاس مَن قنع بما تيسر له.

• أقوى النّاس من قوي على غضبه.

• أكثر النّاس كذباً من يكثر الحديث عن نفسه.

• التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له.

• التّسويف سمّ الأعمال، وعدوّ الكمال.

استباق وجزآن

قال تعالى: {وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ} (يُوسُفَ: 25)

كلاهما يجري، أحدهما يفر من المعصية، والآخر يلاحقها، قد نشترك في الأفعال، ويختلف الجزاء بالنية.

نـهـوض مـن الـركـام

أ. زهدي حنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

نهضتُ من الركامِ ومن حطامي ... كما المعنى يفور من الكلامِ
وقمتُ ألملمُ القلبَ المدمّى ... وأطفِئُ ما اصطلاهُ من الضرِّامِ
وأبحث عن شعورٍ من مجازٍ ... يضمّدُ جرح قافيةٍ أمامي
وحيث أدرتُ قلبي سال نزفاً ... على ما حلّ من نوبٍ جسامِ
على وطني الغريق بلجِّ ليلٍ ... يحاصرهُ بهِ سُعْرُ الظلامِ
على شعبٍ تشتّت في نزوحٍ ... وليس له سوى ظلّ الخيامِ
ولا ماءٌ بهِ تُسقى عروقٌ ... ولا أكلٌ يجده من الطعامِ
وحالٌ لا تصوّرهُ القوافي ... وقد ذاق الشدائد منذ عامِ
وإني رغم هذا الظلم أشدو ... نشيد الطير في لغة الأنامِ
سلامِ أيها الوطن المفدى ... عليك بدا بأدعية السلامِ
فما لليلِ من أمدٍ بعيدٍ ... ولا حالٌ يدومُ على الدوامِ
سينقشع القتامُ بشمسِ صبحٍ ... ولن تبقى الجراح بلا التئامِ
غداً أملٌ تعانقهُ نجومٌ ... على درب الغضارفة العظامِ
غداً بشرى تبدّدُ ما تولى ... من البأساء في زهوِ ابتسامِ
ويا وطناً تقدّس في عيونٍ ... سموْتَ بها لعلياء المقامِ
سنبقى في جذورك ما حيينا ... كما الزيتون في شمخ القوامِ

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

سيادة الرئيس يستقبل سماحة المفتي العام

رام الله: استقبل سيادة الرئيس محمود عباس "أبو مازن" حفظه الله، رئيس دولة فلسطين سماحة، الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، حيث وجه سيادته جهات الاختصاص كافة بتعزيز صمود المواطنين في مدينة القدس التي تشهد حملة ممنهجة من سلطات الاحتلال من أجل تصفية الوجود العربي الإسلامي المسيحي فيها، وأكد سيادته أن القدس الشرقية بمقدساتها الإسلامية والمسيحية هي العاصمة الأبدية لدولة فلسطين، وأن كل أشكال الاستيطان غير شرعية في القدس والأراضي الفلسطينية كافة، بدوره أطلع سماحة المفتي العام سيادته على الأوضاع في مدينة القدس المحتلة وعلى مجمل انتهاكات الاحتلال ومستوطنيه.

المفتي العام يشارك في استقبال وفد من لجنة المتابعة العربية

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك، في استقبال وفد من لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية، حيث رحب سماحته بالوفد، عارضاً صورة الأوضاع والتطورات التي يواجهها المسجد الأقصى المبارك من قبل سلطات الاحتلال وعناصر المستوطنين، ومن ضمنها التضييقات المتزايدة على المصلين ورواد المسجد الأقصى المبارك، وكان في استقبال الوفد عدد من الشخصيات الرسمية والدينية.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشارك في الاحتفال المركزي لتخريج المخيم الصيفي القرآني

الرام: شارك فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – مفتي محافظة رام الله والبيرة، في الاحتفال المركزي لتخريج المخيم الصيفي القرآني الثاني لحفظة أجزاء من القرآن الكريم، الذي أقامته مديرية أوقاف شؤون القدس الشريف، ولجنة دعم القرآن الكريم، الذي عقد تحت رعاية سماحة الشيخ الدكتور محمد نجم - وزير الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطيني.

من جانب آخر؛ قام فضيلته يرافقه السيد محمد جاد الله/ مدير عام الشؤون الإدارية والمالية بتهنئة السيد محمود حمد/ مدير عام أوقاف محافظة رام الله والبيرة على تولي هذا المنصب، متمنين له التوفيق والنجاح في خدمة وطنه ودينه.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوات وورشات عدة ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش - مفتي محافظة نابلس- في ندوات عدة، فقد شارك في ندوة بعنوان: "فضل القرآن وأهله" عقدتها دار الإفتاء في محافظة نابلس في مركز يعقوب لتحفيظ القرآن، بيّن فضيلته فيها فضائل تلاوة القرآن الكريم وحفظه وواجبنا نحوه، وندوة بعنوان: "الحرب والاستعداد المادي والمعنوي واللوجستي" عقدتها جمعية مركز حواء، وأخرى بعنوان: "أحكام العدة في الشريعة الإسلامية" نظمتها دار الإفتاء بالتعاون مع هيئة التوجيه السياسي والمعنوي، تحدث فيها

فضيلته عن العدة ومدتها وأنواعها وحكمها وأحكامها، وندوة أخرى بعنوان: "مكانة المرأة في الإسلام" نظمتها دار الإفتاء بالتعاون مع الإرشاد الديني في قوات الأمن الوطني، وندوة أخرى بعنوان: "الأسرى بعد السابع من أكتوبر" نظمتها هيئة شؤون الأسرى ونادي الأسير وهيئة التوجيه السياسي، وشارك في ورشة بعنوان: "الطب الوظيفي والعلاج بالتغذية" عقدت في مركز مدارات، وأخرى بعنوان: "متطلبات الحصول على شهادة مؤسسة المواصفات والمقاييس" نظمتها مؤسسة المواصفات والمقاييس بالتعاون مع دار الإفتاء الفلسطينية، وشارك في افتتاح الطابق الثاني لمركز الفضل التابع لمكتبة بلدية نابلس، وشارك في الوقفة المساندة للأسرى الفلسطينيين ونصرة لغزة على دوار الشهداء.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في تشييع جثمان شهيد ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم- في تشييع

جثمان الشهيد خليل سالم وأداء الصلاة عليه من قرية واد رحال، الذي استشهد برصاص المستوطنين، وألقى كلمة بيّن فيها منزلة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى، وزار فضيلته عدداً من الأسرى الفلسطينيين المحررين من سجون الاحتلال، كما قام بزيارة عمل إلى مديرية أوقاف بيت لحم.

مفتي محافظة جنين يشارك في ندوة ونشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب - مفتي محافظة جنين - في ندوة بعنوان: "السلم الأهلي وقت الأزمات" عقدتها مديرية أوقاف جنين في دائرة العمل النسائي، بيّن فيها أن الإسلام حث على المحافظة على حياة الإنسان واستقراره وحرمة التعدي على مال الإنسان وحياته بأي صورة من الصور، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيّن أن المسلم الحقيقي من سلم الناس من لسانه ويده، وأن على المسلم أن يحافظ على حقوق الآخرين، ويتجنب الإساءة لهم، وتجنب الإساءة للحيوانات كذلك، وشارك في دورة متطلبات الحصول على شهادة حلال، عقدتها مؤسسة المواصفات والمقاييس الفلسطينية بالتعاون مع دار الإفتاء الفلسطينية.

مسابقة العدد 174

السؤال الأول: ما .... ؟

1. اسم الغزوة التي ذكر فيها عن رجل قاتل مع المسلمين قتالاً شديداً بأنه من أهل النار
2. الحق الذي لا يُكفَرُ القتل في سبيل الله
3. تعريف البر في ضوء ما نصَّ عليه الحديث الشريف
4. حكم التورق المنظم من وجهة نظر مجلس الإفتاء الأعلى الفلسطيني
5. اسم المركز الذي عقد مؤخراً ندوة في نابلس بعنوان: "الحرب والاستعداد المادي والمعنوي واللوجستي"
6. الجهة التي عقدت في جنين ندوة بعنوان: "السلم الأهلي وقت الأزمات"
7. الدخن الذي سيخالط الخير في مرحلة من حياة المسلمين في ضوء الوارد في الحديث الشريف
8. حكم العلامة التجارية
9. معنى ما تحته خط: "مَنْ غَشَّنا **فَلَيسَ مِنَّا**"
10. المصطلح الذي يُعرف على أنه حالة انفعالية داخلية للفرد المسلم، تنتج عن منظومة القيم والتوجيهات الشرعية، وتؤثر إيجاباً في سلوكه

السؤال الثاني: من...؟

1. الذي أطلق على خالد بن الوليد وصف: "سيف من سيوف الله"
2. التي وصف القرآن قلبها في حالة معينة بأنه أصبح فارغاً
3. أغنى الناس
4. **الصحابي:**

أ. الذي أمَّ جماعة في الصلاة، فشكاه واحد من أصحاب النواضح

ب. الذي حرص على أن يسأل عن الشر مخافة أن يدركه

5. صاحب كتاب:

أ. "أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء"

ب. "لصوص السعادة الخمسة"

6. القائل:

أ. بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها ... تُنال إلا على جسر من التعب

ب. سنبقى في جذورك ما حيينا ... كما الزيتون في شمخ القوام

ت. لكل شيء إذا ما تمَّ نقصان ... فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

السؤال الثالث: نعم أو لا ؟

1. الخوف أحد المشاعر الأساسية الستة في علم النفس
2. يطلق الاختلاف في المسائل الشرعية على المسائل التي يُجمع عليها
3. قبل الإمام مالك طلب الخليفة المأمون الخاص بحمل الناس على الموطأ
4. بقي للجمعة أذان واحد في عهد أبي بكر وعمر وعثمان
5. الكلب نجس العين عند الحنفية والمالكية
6. المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
7. وردت كلمة: "تشكرون" عشر مرات في القرآن الكريم
8. فسرت جماعة المسلمين التي أُمر بلزومها عند وجود الدعاة إلى أبواب جهنم بأنها جماعة العلماء
9. تخلت قريش عن المخزومية التي سرقت
10. المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

ملحوظتان :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **174**

مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

إجابة مسابقة العدد 172

السؤال الأول: من .... ؟

1. نوح، عليه السلام
2. عبد الله بن عباس
3. علي بن أبي طالب
4. أبو جهل
5. سراقة بن مالك
6. الرسول، صلى الله عليه وسلم
7. الشيخ د. يوسف سلامة
8. الشيخ د. يوسف سلامة
9. د. أدهم الشرقاوي
10. أم سلمة
11. أنجشة

السؤال الثاني: ما .... ؟

1. قدر (التقدير)
2. الغالب والعالي عليهم
3. والقادر الذي لا يعجزه شيء
4. الميل عن
5. النذير
5. النفور والاستكبار
6. ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه
7. أربع (4)
8. الزمن والحقبة
9. رجب
10. القمر مختلف الشكل متدرج في الظهور والخفاء، بينما الشمس شكلها واحد طوال العام
11. حَمامة

السؤال الثالث: نعم أو لا .... ؟

1. لا
2. نعم
3. نعم
4. لا
5. لا
6. لا
7. نعم
8. لا
9. لا
10. نعم
11. نعم

الفائزون في مسابقة العدد 172

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
إسراء "محمد تيسير" عبد الحق	طوباس	250
إبراهيم أحمد الشقاقي	غزة	250
عايشة محمد أبو الهوى	ضواحي القدس	250
نعمة عدنان هماش	بيت لحم	250
براء سيف الدين جلاد	رام الله	250
يوسف ربحي برغوثي	رام الله	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517
الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862
E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps